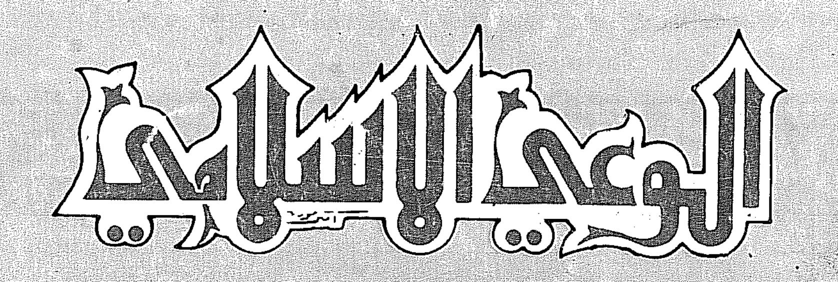
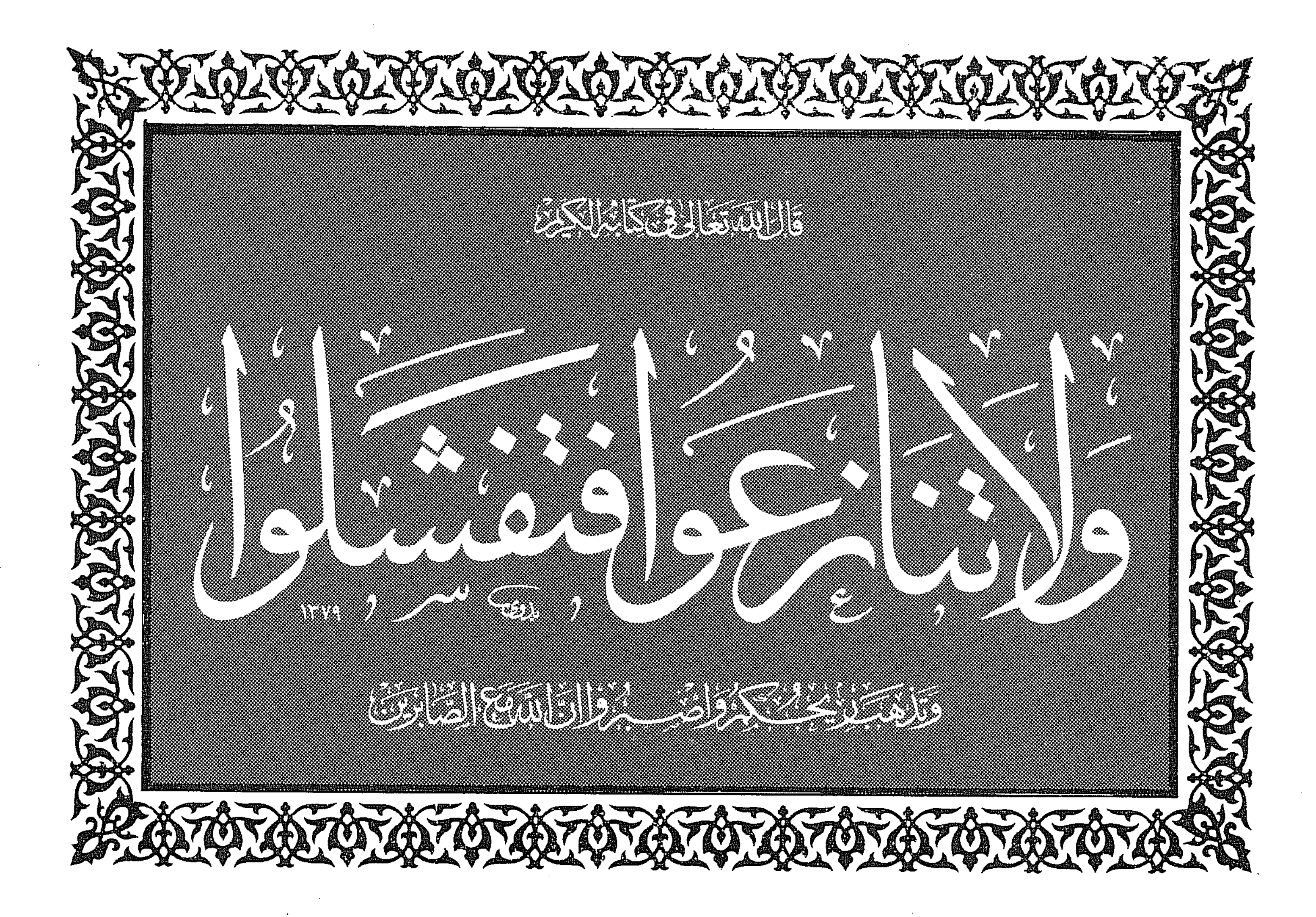


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٢/ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ يناير/فبراير ١٩٨٤م

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان



قال الله تعالى في كتابه الكريم
ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين
١٣٧٩



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣٢/ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ يناير/فبراير ١٩٨٤م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ - ٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدن العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم



ألا له الخلق والأمر

ابتدأ مع القرن الرابع عشر الهجري التقدم العلمي والنشاط الحضاري في كثير من مجالات الحياة واستطاع العلماء ان يكتشفوا من أسرار الطبيعة ما وفر على الناس الكثير من الجهد والمعاناة غاصوا بعلمهم في أعماق البحار واستغلوا الأرض وقربوا المسافات وزاحموا الكواكب في فضائها ووصلوا بالانسان إلى سطح القمر ..

هذا التقدم العلمي الهائل يطلع على الناس كل يوم بجديد وأصبح التنافس الدولي على أشده للسبق في هذا الميدان وأمام هذا الانطلاق الذهني والكشف العلمي نود أن نبرز في ايجاز جانبا من موقف الاسلام ثم موقف البشر .

أما موقف الاسلام فانه خير دين انفرد بالدعوة إلى النظر في ملكوت السموات والأرض حيث جاء القرآن بمنهج يحرض الفكر على تدبر ما في الكون من مظاهر وآيات وصولا إلى معرفة يد القدرة فيها وإيمانا بخالق الكون ومدبر أمره، وبالتأمل في صفحات الوجود عن طريق البحث المستنير تدخل عقيدة التوحيد قلوب العباد من غير استئذان أو تردد وصدق الله العظيم : (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيهامن كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**) البقرة/ ١٦٤ .

مما لا شك فيه أن العقول قبل الاسلام كانت مقيدة بأغلال الجهل والأوهام والخرافات وكانت لا تستطيع التحرر من التقاليد الضالة والعقائد الفاسدة ولكن الحق سبحانه من رحمته بهذا العالم أرسل النبي الخاتم بقرآن يهدي للتي هي أقوم فأطلق هذه العقول من إسارها وطاف بها على بدائع صنع الله ونزلت الآيات الكريمة تصرح بأمر الله إلى رسوله أن يدعو الناس إلى التفكر والنظر وصولا إلى الحق والهدى والايمان وخروجا من الظلمات إلى النور قال تعالى : (**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يديْ عذاب شديد**) سبأ/ ٤٦ .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يبيت ليله باكيا وهو يتفكر في آيات الله التى لا تحصى في هذا الكون الرحيب .

قال عبد الله بن عمر لعائشة رضي الله عنهم . أخبرينا بأعجب ما رأيتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت :"كل أمره كان عجبا أتاني في ليلة حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل فقلت والله إني لأحب قربك وأُحب هواك فقام وتوضأ ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد فبكى ثم اضطجع فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح

قال يا رسول الله ما يبكيك ؟ فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي هذه الليلة: (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) آل عمران/ ١٩٠ . ثم قال :"يا بلال ويل لمن قرأها ولم يتفكر" .

هذه صورة من صور اهتمام الاسلام بقضية التفكير والنظر ليوقظ العقل وينبه الحس في اطار منهج واقعي يرتبط بواقع الحياة وينير للناس طريق الايمان .

ومما لا شك فيه أن العلم الحديث بما وصل إليه من معرفة وكشوف مدين للاسلام الذي أثار الفكر الانساني لينطلق إلى آفاق التدبر والنظر بمثل قوله تعالى:(**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**) ٥٣ / فصلت.وبمثل قوله سبحانه:(**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**) ١٠١ / يونس .

أما موقف البشر من هذا المد العلمي المتلاحق فانه يختلف باختلاف إدراكهم للغاية منه ومدى تأثرهم به وهم تبعا لذلك ثلاث فئات : فئة هامت غراما بالجانب المادي فلا تعترف بما وراء هذا العالم المحسوس ولا تؤمن بوجود قوة عليا على الرغم مما يوحي به العلم وما تنطق به الآيات الكونية بوجوب الايمان بخالق الحياة والأحياء ومبدع الكون وصانع الوجود . هؤلاء وقد انقطعت صلتهم بالله أدى إفلاسهم الروحي إلى الاسراف في عبادة الذات وإرضاء الشهوات ومحاربة الدين والمثل والأخلاق وصاروا يهددون البشرية بأسلحة الدمار والفناء في غير رحمة ولا حياء .

هؤلاء الحمقى عطلوا نوافذ المعرفة،لهم أعين لا تبصر طريق النور،ولهم آذان لا تسمع براهين الحق،ولهم قلوب لا تفقه منطق الايمان .
هؤلاء الملاحدة صور القرآن مستواهم في الضلال بما هو أدنى من

مستوى الأنعام حيث قال الله تعالى: (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) سورة الأعراف/ ١٧٩ .

هؤلاء مهما بلغوا من علم ومهما أوتوا من مناصب أو ملكوا من بحوث لا وزن لهم مع عربي أمي اهتدي بفطرته إلى الايمان بالله إذ كان يسير في الصحراء فوجد بعرات في الطريق فنظر إليها مليا ثم قال إذا كانت البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير فان سماء ذات أبراج وأرضا ذات فجاج كل ذلك يدل على ا للطيف الخبير .

هؤلاء الذين اتخذوا العلم الههم ولم تنفع معهم المواعظ عليهم أن يقرأوا وأن يتأملوا ما قاله (ا . كريس موريسون) رئيس اكاديمية العلوم في نيويورك قال (إن الانسان ليكسب مزيدا لاحد له من التقدم في كل وحدة من وحدات العلم غير أن تحطيم ذرة (دالتون) إلى مجموعة نجوم مكونة من جرم مذنب والكترونات طائرة قد فتح مجالاالتبديل فكرتنا عن الكون والحقيقة تبديلا جوهريا .. ثم يستطرد قائلا . وإن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم لتفتح مجالا للايمان بوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة) .

ومن قبل هذا ضرب القرآن الكريم مثلا لعالم انسلخ من آيات الله فصوره في صورة انسان ممسوخ في صورة حيوان لاهث اذ يقول الحق سبحانه **(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) صدق الله العظيم . الآيتان ١٧٥ و ١٧٦ سورة الأعراف .
وللحديث بقية إن شاء الله .

رئيس التحرير

حسن مناع



ربما كان هذا العنوان غريبا على كثير من الناس ، وبخاصة من أخذ منهم بنصيب وافر من العلم والفقه ، والذوق والرأي ، والفكر والأدب ، والإحاطة والاطلاع ، وربما قال قائل من هؤلاء : وهل هو إلا كتاب ككل الكتب تتألف سطوره

من حروف وكلمات عربية ، وهو كما يقول الله عنه (**بلسان عربي مبين**) الشعراء/ ١٩٥ اوكما يقول : (**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**) القمر ، لا يحتاج من القارىء إلا أن يساعده لسانه على النطق الذي منحه الله إياه ، وعوده عليه ، وقاوم به محنة البكم او الخرس الذي ابتلى به غيره والعياذ بالله ؟ ونحن نبادر بالإعلان عن الغرض الذي نقصد اليه من هذه القراءة ، وهي من غير شك قراءة خاصة ، لها مواصفات وآداب ، وسمات وكفاية ، ودربة واستعداد ، ودراية وعلم ، قد لا تتأتى لاصحاب هذه الصناعة ، وأهل ذلك الفن ، ومما لا يماري فيه أحد ان النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو أفصح العرب بيانا ـ وأقومهم لسانا ـ تلقى قراءته عن جبريل الذي كان ينقطع له في رمضان ـ من السنة الى السنة ـ ليسمع له ، أو ليتلو عليه ، وكان هذا درسا له ..

ومن ثقافتنا التي حصلنا عليها من الكتب التي بين أيدينا يصادفنا في التوصية بهذه القراءة ، والحث عليها ، والترغيب فيها ، أكثر من آية في كتاب الله الكريم ، وأكثر من حديث نبوي من كلام سيد المرسلين ، وهي ترينا ان هذه القراءة المطلوبة ، لم يكن المقصود منها مجرد المرور العابر على الآيات والسور ، ولكنها القراءة المصحوبة بالتأمل ، المقرونة بالفهم ، المليئة بتعلق القلب ، وارتباط الفكر ، وهيام النفس ، وثورة العاطفة ، وميل الطبع ، وشغف الفؤاد ، وكأنما هي تلك التي يتحدث عنها ، ابو حمزة الخارجي في وصفه لأصحابه إذ يقول : « منحنية أصلابهم على اجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه » .

ومن قوله جل جلاله : « **الذين أتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به**) البقرة/ ١٢١ ، وقوله : (**إن الذين يتلون كتاب الله**) فاطر/ ٢٩ ، وقوله : (**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث**) الإسراء/ ١٠٦ يمكن ان ندرك الملامح البارزة ، والخطوط العريضة ، والصفات الواضحة ، التي يجب ان تتوفر للقارىء الجاد في قراءته ، او المخلص في صلته بربه ، وهو لا يداجي في مناجاته له ، وحديثه إليه ، واقباله عليه ، واشتغال قلبه به .. وهذه الملاح ، وتلك الخطوط ، او تلك المعاني ، يعلنها قوله : (**حق تلاوته**) وقوله : (**يؤمنون به**) وقوله : (**على مكث**) **فاننا ننتهي منها ـ في هذه الآيات ـ الى أن القارىء يجب ان تكتمل له هذه الصفات الثلاث** ..

الأولى : ان تكون هذه القراءة تلاوة ، والتلاوة مأخوذة من قولهم تلا فلان فلانا اذا جاء بعده بوقت ، ولا يتأتى ذلك في النطق إلا اذا كان على مهل ، ليأخذ كل حرف من الحروف خظة من الصوت الذي يليق به من الاظهار او الاخفاء او الجهر او الهمس ، ومد الحرف او قصره ، وهكذا وهو ما يسمى عند علماء النغم بتجويد

الحروف .

والوصاة التي يوصى بها او يؤكدها ، ليست تلاوة وكفى ، وانما هي : (**حق تلاوته**) ، والتأكيد بالمصدر هنا ، يعطي معنى يجب ان نلتفت اليه ، وهو أن المطلوب التلاوة الرتيبة ، والقراءة الهادئة ، ليتسنى لمن يقرأ تأمل الأهداف ، وفهم المقاصد ، وتدبر المعنى .

الثانية : أن يكون القارىء ممن تمتلىء نفوسهم بالإيمان به ، والإكبار له ، والرغبة فيه ، والاقبال عليه ، وهذا الذي تهدف اليه كلمة (**يؤمنون به**) لأن الذي يساق الى ما يقرأ سوقا من غير رغبة صادقة ، ولا استجابة خالصة ، ولا ميل صحيح ، لا تكون قراءته بفهم ، ولا تأمله بوعي ، ولا إصغاؤه بفائدة ، ويكون ضياعة للوقت من العبث الذي لا يستجيب له إلا صغار الأحلام ، ولهذا الغرض يوصى أهل الفقه والعلم ألا يكون المستمع لكتاب الله على صورة المستمع وكفى ، بل لابد ان يكون مع الأصغاء تأمل ، ومع السمع تدبر ، ومع توجيه النفس سياحة : (**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**) الأعراف/ ٢٠٤ ، فلا يكتفي الانسان بامتلاء الأذن بالصوت ، او منع اللسان من اللغو ، والجوارح من الحركة ، ما لم يكن مع هذا وهذا الامعان في الإصغاء ، والإغراق في التأمل ، والمبالغة في التفرغ ، ونراه سبحانه وتعالى ينعي على هؤلاء المنصرفين عنه أشد النعي ، ويوبخهم أقسى التوبيخ ، وهو يقول : (**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**) محمد/ ٢٤ ، ويؤدبنا صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب ، ويرشدنا الى هذا المعنى حين يقول : « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فاذا اختلفتم فيه فقوموا » متفق عليه ، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يفيد أن أولئك الذين يقرؤون تلك القراءة التي لا تتجاوز حناجرهم . ولا تلامس ضمائرهم ، ولا تصادف منهم هوى صادقا ، ولا قلبا خافقا ، ملعونون من القرآن الكريم ، وما أظن ان تكون هذه اللعنة إلا لرجل بلغ به هذا الاستهتار حد العبث بكتاب الله ، فهو لا يتأدب له بأدبه ، ولا يستحضر له مهابته ، ولا يوفر له احترامه ، ولا يوفيه حقه من النطق اللائق به ، ولا يعطيه من الإقبال عليه ، والتفرغ له ، والتفرغ له ، ما ينبىء عن كونه موصولا به ..

الثالثة : أن يكون ذلك على مكث : (**لتقرأه على الناس على مكث**) والمكث في اللغة أكثر من التمهل ؛ وأعمق من التؤدة ، وأبلغ من التريث .. ومنه يتبين أن التواني الذي تتطلبه قراءة القرآن ، والأناة الواجب ملاحظتها ، ليست ليأخذ النطق حقه ، ولا لاخراج الحروف من مخارجها الصحيحة فحسب . فان هذه أمور من البداهة أن يحسب حسابها ، ويراعى توفرها . وهذا المكث الذي ترمي إليه الآية لا يكون باستيفاء الحروف حقها من «التجويد» ولا تلوين الصوت لها باللون المناسب فقط ،

بل باستحضار روعة المعنى وقدسيته وربطه بما يؤازره من سابق او لاحق ، يؤلف معه أسرة متينة البنيان ، قوية الأركان تعطي في إطارها المتناسق ، وتعانقها المتلاصق ، ما لهذا الكلام من إعجاز أبدعت فيه قدرة اللطيف الخبير ..

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه رجلا يبالغ في نسكه ويتجاوز الطاقة في عبادته ، ويمعن الامعان كله فيما يصله بربه ، ومما عرف به أنه كان يقرأ القرآن كله في ليلة واحدة ، وانتهى علم ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقره عليه ، وأمره أن يتم قراءته كل عشر ليال ، ولما راجعه عبد الله وقال له ولكنني أطيق أفضل من ذلك . قال له الرسول صلى الله عليه وسلم اقرأه كل سبع ليال مرة . ففعل ذلك عبد الله إلا أنه بعد أن تقدمت به السن ولم تسعفه القوة ولم يساعده النشاط ، ندم على أنه لم يقبل تلك الرخصة التي أجازها له رسول الله ولم يمت حتى كان يعلن هذا الحديث الذي رواه عنه أبوداود والترمذي وابن ماجه : « لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » .. وقد يكون من المستحسن وقد تناثر بنا حديث القراءة الى هذا المدى ، أن نعرض لتلك القراءة التي يملؤها أصحابها بالنغم ، ويشحنها ذووها بالتلحين ، ويثقلها أهلها بما يكون فيها من الموسيقى . وأن نذكر نصيبها من الحل والحرمة . وحظها من اللياقة والأدب ، وأكبر الظن ان القارىء الذي يلتزم بحقوق الحروف من النطق المنصوص عليه عند علماء التجويد لا يلومه أحد ، ولا يمكن أن يكون الجمال للصوت ، إنما هو لسحر القرآن . ولذلك الجلال الذي يضفيه على نفسه . ولا يتصور إنسان أن يكون هذا الحسن لصوت المغني او المرجع وانما هو في الواقع يرجع الى أمرين اثنين .. النطق الصحيح ، وسلطان المعنى على القارىء ، وكثيرا ما نسمع قارئا لم يتوفر له جمال الصوت ، ولاحسن النغم . في حين أنه يتوفر له الى جانب نور القلب ، وإخلاص النفس ، وفرة الايمان ، وقوة اليقين وسلامة النطق ، وصحة التجويد وروعة الأداء ، فإذا هو يملك منا القلب ، ويأسر منا النفس ، ويسبح بنا في ملكوت السموات والأرض ..

وعلى هذا فإن القراءة الممقوتة التي يلعن الله صاحبها ، هي تلك التي لا تسوفي حقها من الأداء ، ولا يتوفر لها نصيبها من الأدب ، أو يتجاوز بها القارىء ما يجب أن يكون في النطق ، وحين يمضغ القارىء الكلام ، أو يخطف الحروف ، أو يتناسى للأداء حقه ، أو يخلط بين المخارج ، أو يتخنث كما يتخنث المغني ، فانه يتعرض لسخط الله وغضبه ، وعليه الوزر من غير شك ، والصوت الجميل ، والإيقاع الحلو ، والتطريب الحسن ، في قراءة القرآن لا تمتاز شيئا عما يكون في الآذان الذي يرى الشارع أن يكون من إنسان مديد الصوت ، عذب اللحن ، حلو النغم ؛ جهير النطق ، رطب الحلق ، سليم المخارج ، كما كان بلال بن رباح الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستريح له ، ولقد كان رسول الله داود عليه السلام صاحب صوت حسن ، ونغم حلو ، وكان حظه كله ، ومتعته كلها ، وسعادته التي

أنعم الله بها عليه ، لا يراها في شيء وراء تلاوته لذلك الكتاب الذي أنزله الله عليه . وكان لصوته الحلو ، وتلاوته الرتيبة الفضل كل الفضل في نجاح دعوته ، وقبول رسالته ، وامتثال ما كان يأمر به قومه من هدي ونصح .. والفطرة السليمة من شأنها أن تستجيب للصوت ، وتهتز للنغم ، وتميل إلى حلو اللحن ، وعذب الإيقاع . والدين لا يحارب الطباع ، ولا يجافي الغرائز ، وهذا هو أبو هريرة رضي الله عنه يقول : « ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ويجهر به » رواه البخاري ومسلم واللفظ له .. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « زينوا القرآن بأصواتكم » رواه أبوداود والنسائي وابن ماجه ولعل المعنى على القلب ـ كما يقولون ـ فإن القرآن كامل الزينة ، تام الروعة ، موفور الحسن ، جميل النغم ، حلو اللفظ ، عذب الحروف ، والفضل إنما يعود على الصوت من القرآن الذي يخلع عليه من فيضه ؛ ويسكب عليه من مائه ، ويجود عليه بما أودع الله فيه من بهجة وجلال ، وليس ذلك غريبا اذا علمنا أن علماء الأصوات الذين عنوا بدراسته من الناحية الصوتية أدهشهم ذلك التنسيق في الحروف الذي جعل النغم فيها غير ناب ولا قلق ، ولكنه يجعل درجات اللحن متشابكة على شكل يبعث على الدهشة التي لا تنتهي إلا بقوله سبحانه : (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون/ ١٤ .

ولابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار » كلام ينال به ممن يقرءون القرآن للدنيا ، أو لطلب ما عند الناس ، والذين لم يكفهم من ابتذاله والارتزاق به هذا الحد المزري الذي وصلوا اليه ، حتى راحوا يجيئون في القراءة بوجوه غير مألوفة إظهارا للمعرفة ، أو إعلانا عن المقدرة ، والعلماء يقولون بكراهية ذلك .. وقد رأيت ابن قتيبة ـ أيضا ـ يقول في كتابه «مشكل القرآن» فان قال قائل فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع الوجوه ؟ ، قيل له كل ما كان منها موافقا لمصحفنا ، غير خارج عن رسم كتابته ، جاز لنا أن نقرأ به وليس لنا ذلك فيما خالفه ، لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرءوا بلغاتهم ، وجروا على عاداتهم ، وخلوا أنفسهم وسوم طباعهم ، فكان ذلك جائزا لهم ، ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل ، عارفين بالتأويل ، فأما نحن معشر المتكلفين ، فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العرض ، وليس لنا أن نعدوه ، ولو جاز لنا أن نقرأ بخلاف ما ثبت في مصحفنا لجاز أن نكتبه على الاختلاف ، والزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير ، وهناك يقع ما كرهه لنا الأئمة الموفقون رحمة الله عليهم .. وقد تعمدت هذا النقل عن ابن قتيبة لأنه أشبه بالتعليل للكراهة التي يرتكبها هؤلاء القراء من جهة ، وتأييد للحكم من جهة أخرى .. ولأدل القارىء من جهة ثالثة على كتاب عظيم من الكتب التي تصدت لدراسة في كتاب الله نحن في حاجة الى الوقوف عليها والعلم بها ، وبخاصة من رجل كهذا الرجل الذي اشتهر بسعة الأفق ، والقرآن لا يفهمه ، ويدافع عنه ، الا أمثاله الذين أحاطوا بمثل ما وعاه وعرفه .



إن المتأمل في واقع المسلم المعاصر في سلوكه الاجتماعي ، يرى مع الاسف تناقضا واضحاً ، او انفصاما مثيرا للتساؤل بين ما يعتقد ويتدين به ، وتصرفاته ومعاملاته وسلوكه العام ، فليس واقعه معبرا عن التزام صحيح لقيم دينه وشرع ربه ، تراه يصوم ويصلي ، ويحج ويزكي ، او يتحمس لاسلامه ويدافع عنه عاطفيا ، دون تقدير او احترام لبعض ما حظره الدين ، ففي مجال التجارة قد لا يتورع عن أكل الربا او الفائدة ، وفي اثناء السفر لخارج البلاد قد يتناول الحرام من لحم خنزير او شرب مسكر ، او اقتراف معصية ، او غشيان فاحشة ، في بلد مسلم او غير مسلم .

وربما يتأول لفعله ، فيزعم الحل او الاباحة ، او يتذرع بالحاجة والضرورة ، او بمخالفة الجانب الآخر في الدين والاعتقاد ، او بتقييد الأحكام الشرعية في بلاد الاسلام دون ما عداها من بلاد غير المسلمين ، او قد لا يتجاوز الأمر مجرد مجاملة او استحياء من الآخرين .

وهذا كله من وساوس الشيطان ، وتذرع بأوهى الاسباب ، واتباع محض للأهواء والشهوات ، إذ إن شرع الله واحد لا يتبدل ولا يتغير بسبب الزمان والمكان والأشخاص ، والحلال في دار الاسلام حلال في دار الحرب ، والحرام في دار الاسلام حرام في دار الحرب ، ولا تحل دار الحرب ما كان اصله محرما في دار الاسلام ـ على حد تعبير الامام الشافعي رحمه الله تعالى .

وقيم القرآن الكريم دستور المسلمين ، سواء اكانت قيما شخصية بحتة ، ام اجتماعية ، ام انسانية عالمية ، لا تتبدل ولا تتلون ، ولا تتأثر بالظروف الشخصية او المعايير

المصلحية ، الا في الحدود المقررة المرسومة لها في نطاق العبادات او المعاملات ، كالمرض او السفر ، او العجز الدائم ونحوها من الأسباب المخففة ، التي لا تلغي اصل الحكم الشرعي ، وانما تجيز الانتقال الى بدائل واحكام اخرى تنوب عن الاحكام الاصلية .

وبه يتبين ان الانتقال الى البديل مقصور على تقدير الشرع ، لا بحسب الشهوة والهوى ، ومحاولة اخضاع الأحكام او القيم لمزاعم الانسان ورغائبه الخاصة ، فلقد أوصد الدين الحنيف كل منافذ الأهواء ، ليضمن سلامة المبادىء وهيمنتها على السلوك الانساني في كل الأحوال العادية التي لا تلجأ إلى الأحوال الاضطرارية المعروفة الا اذا توافرت معايير الضرورة وضوابطها الشرعية ، وما اكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تندد باتباع الهوى واتباع خطوات الشيطان والاصغاء لوساوسه ، قال الله تعالى : « **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون** » (المؤمنون : ٧١) ويؤيد ذلك قوله سبحانه : « **أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم** » (محمد : ١٤) . « **يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** » (البقرة : ١٦٨) .

ويحذرنا النبي صلوات الله وسلامه عليه من المظاهر المرضية المدمرة لبنيان الجماعة ومصلحة الأمة ، ومن أخطرها اتباع الهوى الذي يمكن ان يكون في هذا العصر هو الظاهرة البارزة في سلوك الناس ، فيقول : « بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ، فإن من ورائكم أياما ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا ، يعملون مثل عملكم » رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن ، وابو داود في الملاحم ، وابن ماجة في الفتن .

إن في اتباع الأهواء مفاسد ومضار واضحة ، من أهمها اشاعة الفوضى ، وفقدان الأنظمة ، واضطراب الأحوال ، وتسلط القوي ، وظلم الضعيف ، وإثارة القلاقل ، وعدم الطمأنينة ، وانعدام الأمن .

وأما حب القيم واحترامها والتزامها ، فدليل على التحضر والتمدن ، وسبب لتوفير السعادة والراحة ، إذ هو صمام أمان ضد المخاطر التي تهدد في النهاية مصالح الأفراد أنفسهم ، وإن بدا في أول الأمر عدم التأثر المباشر بسبب التهاون بها ، لذا وجب على الانسان ان يكون احترامه للقيم نابعا من قناعته الخاصة بجدواها وأهميتها ، وبانعكاس آثارها عليه إن عاجلا أو آجلا .

ولن ارغب في جعل نفسي هنا

واعظا ، او مصدرا للنظريات ، أو راعيا للفضيلة ، أو حارسا للقيم ، وإنما أريد أن أقارن بين مجتمعنا الاسلامي والمجتمعات الأخرى ، في مجال التعامل القائم على الثقة ، والنابع من ضرورة حماية المصلحة الحقيقية للانسان نفسه .

وأذكر هنا أمثلة ثلاثة فقط من قيم الاسلام الخالدة التي التزمها غيرنا ، وغابت عن ذاكرة بعض الشبان أو الكهول المسلمين في ثنايا تحركاتهم الاجتماعية ، وتلك القيم هي **الصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعهد** ، وهي التي يمكن رد مختلف القيم الاسلامية لها ، وصدورها في الواقع عنها ، وتأثرها بها .

انطلقت النهضة الصناعية الجبارة في الغرب معتمدة على قيم كثيرة ، وانتعشت حركة الصادرات والواردات الضخمة عبر البر والبحر والجو بالاعتماد على اصول وقوانين نابعة في الأصل من قيم اخلاقية ، ترجمت الى أنظمة او اعراف تجارية ، وعادات التزمها الصانع والمستصنع والمصدر والمستورد ، وازدهرت حركة السياحة بأعراف مردها الى الأخلاق ، وقامت الخدمات الفندقية على اساس خلقي ، وكل هذه الأوضاع الجديدة حريصة على كسب الثقة ، وتوفير السمعة الحسنة والشهرة ، واكتساب الزبائن والعملاء عن طريق المعاملة الطيبة ، بعد توفير عنصر الجودة والاتقان ، وذلك يحقق أرباحا ذات مردود افضل في وسط المنافسة الحرة ، والتزاحم على فتح الأسواق العديدة امام المنتجات والصنايع المتنوعة ، واساس كل هاتيك القيم هو الصدق والأمانة والوفاء بالوعد او العهد . ويخطىء كل من يظن ان مظاهر التقدم الحديثة لم ترتكز على قيم خلقية ، وان كانت متأثرة بالحفاظ على المصلحة ، فهي مع ذلك تظل قيما .

ان فضيلة الصدق مع الله تعالى ومع النفس ومع الآخرين عنوان الرجولة والشجاعة والقوة والجرأة ، لذا أمر الله تعالى بالصدق كل مؤمن ، فقال سبحانه : « **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » (التوبة : ١١٩) بل إن الحق سبحانه لم يدع الأمر مجرد اختيار ، وانما كان محل سؤال ونقاش ، فقال تعالى : « **ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما** » (الأحزاب : ٨) « **فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ، والذي جاء بالصدق ، وصدق به أولئك هم المتقون** » (الزمر : ٣٢ ـ ٣٣) .

والأمانة سواء بأداء الحقوق والتكاليف الالهية ، أو بأداء حقوق الناس الأدبية والمادية قاعدة كل بناء وتقدم ورفعة ، وأساس النجاة من المسؤولية والحساب وما يتبعه من لوم وعتاب وعقاب ، إذ أن الخيانة سبيل تردي المجتمعات ، وانحلال الشخصيات ، وتدمير الكرامة ، وهز الثقة ، والانذار بالفشل والخسارة المحققة ، لذا اشاد القرآن بالأمانة ،

فقال تعالى : « **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا** » (الأحزاب : ٧٢) .

والأمانة في كل شيء : الأمانة في الصلاة ، والأمانة في الصوم ، والأمانة في الوضوء ، والأمانة في الحديث ، وأشد ذلك الأمانة في الودائع ، وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الأمانة اول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ، ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم ، وروى الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع اذا كن فيك ، فلا عليك ما فاتك من الدنيا : «حفظ امانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة طعمة » .

والوفاء بالعهد أو الوعد او العقد والالتزام اساس مكين في العلاقات والمعاملات الداخلية والخارجية الدولية ، إذ لولاه لافتقدت الثقة والاطمئنان بين الناس ، وعامل الثقة لابد منه في كل تعامل ، ومن محور الثقة يطمئن الانسان لما يعطي او يأخذ ، لذا اعتبر الاسلام الوفاء بالعهد من اصول الايمان ومقتضياته ، وكرر القرآن الأمر به ، وحذر من الغدر والخيانة ، ونقض العهد والميثاق ، فقال الله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** » (المائدة :١) « **وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا** » (الاسراء : ٣٤) وجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين : « **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا** .. » (البقرة : ١٧٧) واما جزاء نقض العهد فهو السقوط من هيبة الله والناس ، والعذاب في نار جهنم ، قال عز وجل : « **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** » (آل عمران : ٧٧) .

وما أقبح ما صور به جزاء الغدر في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لكل غادر لواء يوم القيامة ، يرفع له بقدر غدرته ، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة » رواه احمد ومسلم عن ابي سعيد الخدري .

إن قيم الاسلام الخالدة ، سواء أكانت شخصيه كالصدق والصبر وحب الخير ، وجهاد النفس والهوى والشهوة ، ام اجتماعية كالأمانة والاحسان الى الآخرين ، والكلم الطيب ، والتعاون على البر والتقوى ، ام انسانية عالمية كالوفاء بالعهد والميثاق ، والحفاظ على الكرامة الانسانية ، والدفاع عن حرمات الدين والأهل والديار والبلاد ، والجهاد في سبيل الله ، وإيثار الحرية والسلام ، إن هذه القيم تستهدف إسعاد الفرد والجماعة ، وحماية مصلحة الانسان نفسه ، وتمتاز بمنطقيتها السديدة ، وبواقعيتها الأكيدة ، وتتصف بصفة الديمومة والخلود ، وبالتجرد الذي لا يتأثر بالظروف الشخصية ، ويتجاوز حدود البلد والاقليم الى ان يصبح قيمة كبرى واجبة الاحترام في كل

زمان ومكان .

أما غايتها في اسعاد الفرد والجماعة ، فلأنها تقوم على مبدأ الوسطية والاعتدال دون افراط ولا تفريط ، فليست هي فقط من اجل الفرد ومصالحه الذاتية ، وليست ايضا من اجل الجماعة وحدها ، وانما تعتمد على تحقيق مبدأ التوازن والانسجام بين المصلحتين الخاصة والعامة . واذا تحقق الخير العام استفاد المجتمع والأمة ، كما استفاد الفرد ايضا لتأثر مصالحه بتأثرات البيئة والوسط الذي يعيش فيه ، بل إن المردود النهائي بالنفع يعود للانسان ذاته .

وأما المنطقية والعقلانية في هذه القيم ، فهي واضحة إذ لا يستطيع اي انسان عاقل المكابرة في جدواها واهميتها وسلامة بنيتها ، وليس أدل على ذلك من ان قيم القرآن الكريم تتردد قديما وحديثا على ألسنة الحكماء والفلاسفة والمفكرين ، وتتعالى الأصوات بها في المحافل الحديثة والمؤسسات الدولية ، سواء اكان هناك صدق في اعلانها ، واستعداد للعمل بها ام لا ، وهذا ترجمان آخر لمصداق كلام الله تعالى : « **وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » (فصلت : ٤١ ، ٤٢) « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** » (فصلت : ٥٣) .

وأما واقعيتها ، فتوجبها الضرورات الحياتية وتقلبات الأحوال ، فلولاها لجأر الناس بالشكوى والتبرم من سوء الاخلاق ، وهي منسجمة مع الفطرة النقية واصالة الانسان السوي ، وواقع الحياة ، فهي ليست مجرد نظريات مثالية بحتة ، ولا مجردات خيالية انعزالية ، ولا غريبة عن تصورات الانسان وتطلعاته في حياة فضلى ومعيشة هانئة .

وأما ديمومتها وخلودها ، فلأنها لم تكن مغلقة على مجتمع أو عنصر أو فئة أو جنس معين ، وإنما هي عامة لكل الناس ، ثم إنها مستمدة من خلود شريعة الله الدائمة الى يوم القيامة ، ذلك الخلود القائم على المبادىء الكلية ، والقواعد الشاملة ، والضوابط المرنة .

وهي ايضا متفتحة لا تقتصر على بلد أو إقليم ، وهي بالمعنى الشامل انسانية عالمية ليست ـ كما قد يتصور بعض الكاتبين ـ لمعالجة امراض وعصبيات وقبليات العرب في ربوعهم ، فان مثل هذا التصور يعصف بالاسلام من جذوره ، لأنه خاتمة الشرائع ، وعام النزعة يشمل كل العوالم والأجناس ، بصريح النص القرآني : « **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** » (الفرقان : ١) والخلاصة ان تجاوز قيم الاسلام في عالمنا يسهم بقسط كبير في إبقاء التخلف ، ويعوق كل نهضة وتقدم ، فلم تقم نهضات العالم إلا بالتزام دقيق وتطبيق صارم شديد لمثل هذه القيم الخالدة .



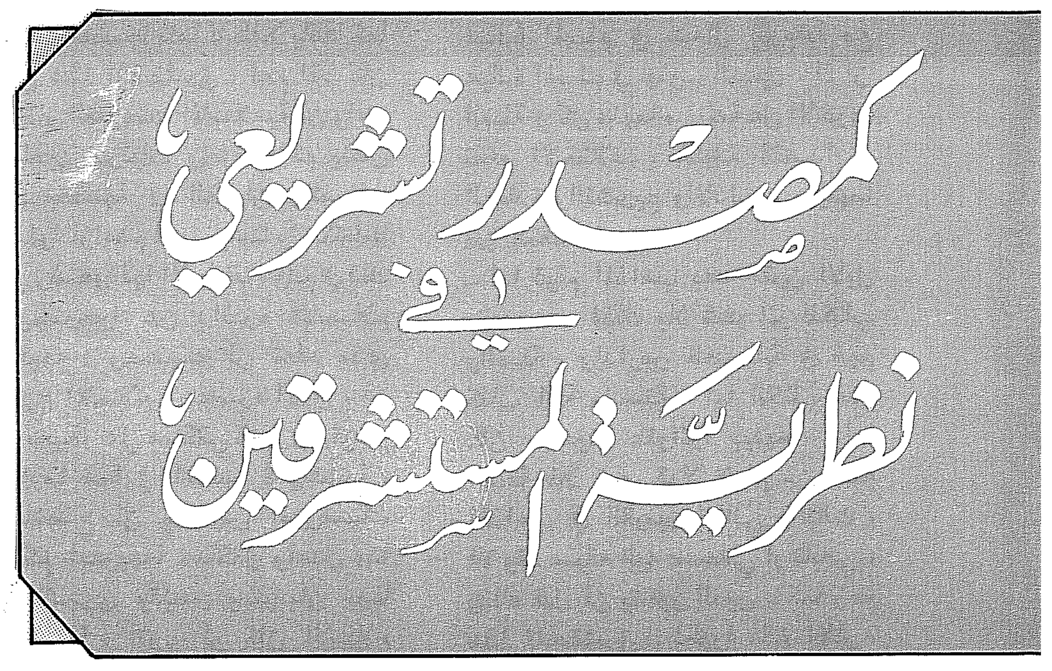
للدكتور / عجيل النشمي

مفهوم تطور السنة عند أولئك المستشرقين يعني مواكبة وملاحقة السنة للأحداث المستجدة والقدرة على اعطاء الأحكام الشرعية المناسبة لها .

يقول جولد تسيهر : « من ناحية التطور الديني الذي نعني به هنا لا يهمنا الحديث من ناحية شكله النقدي ، وانما يهمنا من ناحية التطور ، كما ان مسألة صحته وقدمه تجيء متأخرة عن معرفة ان الحديث تتجلى فيه جهود الأمة الاسلامية في عملها الشخصي الخالص ، ونرى ذلك كله في الأمثلة الكثيرة للأغراض التي لم تكن موجودة في القرآن».

ـ ان الخطأ الرئيسي الذي وقع فيه جولد تسيهر وأمثاله هو في تطبيق مفهوم التطور على السنة النبوية فقد أرادوا من السنة أن ترتسم الواقع وتمشي على خطاه ، مهما كان هذا الواقع خاطئا أو موغلا في الخطأ .

ـ ان السنة انما جاءت لتحكم هذا الواقع بكل ما فيه من قوانين وأعراف وتقاليد وغيرها لا لتكون محكومة بها ، فالسنة هي التي تحدد ما هو تطور أم



خلافه .

ـ والسنة قد تقرر قواعد ومبادىء غير قابلة للتطور والتغير ، شأن المبادىء والقواعد الثابتة الأصيلة ، والذي يقبل التطور كل ما يندرج في تلك القواعد اذا انطبقت عليه ملامحها وشروطها وهي بهذا التطور لم تخرج عن حدود مبادىء السنة وقواعدها ، ولم تخضع لواقع أو عرف أو عادة أو ما شابه ذلك .

ـ بل ان هذا المستشرق يعتبر السنة وليدة التطور فيزعم ان القسم الأكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للاسلام في القرنين الأول والثاني ، يقول الدكتور السباعي : ولا ندري كيف يجرؤ على مثل هذه الدعوى ، مع أن النقول الثابتة تكذبه ، ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتقل الى الرفيق الأعلى الا وقد وضع الأسس الكاملة لبنيان الاسلام الشامخ ، بما أنزل الله عليه في كتابه ، وبما سنه عليه الصلاة والسلام من سنن وشرائع وقوانين شاملة وافية ، حتى قال صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي » وقال : لقد تركتكم على الحنيفية السمحة ليلها كنهارها » .

ومن المعلوم ان من أواخر ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب الله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » المائدة/ ٣ . وذلك يعني كمال الاسلام وتمامه .

ـ فما توفي رسول الله الا وقد كان الاسلام ناضجا تاما لا طفلا يافعا كما يدعي هذا المستشرق ، نعم لقد كان من آثار الفتوحات الاسلامية أن واجه المسلمين جزئيات وحوادث لم ينص على بعضها في القرآن والسنة ؛ فأعملوا آراءهم فيها قياسا واستنباطا حتى وضعوا لها الأحكام ، وهم في ذلك لم يخرجوا عن دائرة الاسلام وتعاليمه ، وحسبك أن تعلم مدى نضوج الاسلام في عصره الأول ، أن عمر سيطر على مملكتي كسرى وقيصر وهما ما هما في الحضارة والمدنية ، فاستطاع أن يسوس أمورهما ، ويحكم شعوبهما ، بأكمل وأعدل مما كان كسرى وقيصر يسوسان بها مملكتيهما ، أترى لو كان الاسلام طفلا ، كيف كان يستطيع عمر أن ينهض بهذا العبء ويسوس ذلك الملك الواسع ، ويجعل له من النظم ما جعله ينعم بالأمن والسعادة ،بما لم ينعم بهما في عهد ملكيهما السابقين ؟

ـ على أن الباحث المنصف يجد ان المسلمين في مختلف بقاع الأرض التي وصلوا اليها كانوا يتعبدون عبادة واحدة ، ويتعاملون بأحكام واحدة ، ويقيمون أسس أسرهم وبيوتهم على أساس واحد . وهكذا كانوا متحدين في العبادات والمعاملات والعقيدة والعادات غالبا ، ولا يمكن أن يكون ذلك لو لم يكن لهم قبل مغادرتهم جزيرة العرب نظام تام وناضج ، وضع لهم أسس حياتهم في مختلف نواحيها ، ولو كان الحديث أو القسم الأكبر منه نتيجة للتطور الديني في القرنين الأولين للزم حتما ألا تتحد عبادة المسلم في شمال إفريقيا مع عبادة المسلم في جنوب الصين ، اذ ان البيئة في كل منهما مختلفة عن الأخرى تمام الاختلاف ، فكيف اتحدا في العبادة والتشريع والآداب ، وبينهما من البعد ما بينهما ؟

ـ أما قيام المذاهب بعد القرن الأول وتعددها ، فذلك بلا شك أثر للكتاب والسنة ، ولمدارس الصحابة في فهم كتاب الله والسنة ، أما الكتاب فقد كان محفوظا متواترا بينهم ، وأما السنة فلا ترى قولا لامام من أئمة المذاهب في القرنين الثاني والثالث ، الا وقد سبقه اليه صحابي أو تابعي ، وذلك قبل أن يتطور الدين ـ كما زعم هذا المستشرق ـ تطورا بالغ الأثر ، وفي هذا ما يقضي على الشبهة من أساسها .

ـ ان التطور لا يمكن أن يكون في تغيير نصوص الأحاديث أو تأويلها تأويلا يلوي عنقها قسرا كي توافق الأهواء والواقع .. ولا يمكن أن نسلم اطلاقا بمقولة ان الحديث تتجلى فيه جهود الأمة الاسلامية في عملها الشخصي .. أو أنها نتيجة للتطور » ان هناك حدودا للاجتهاد في النص متفقا عليها بين علماء الأصول ، يأمن فيها حديث النبي صلى الله عليه وسلم من أن يمسه جهد شخصي خالص أو يحيد به عن وجهته فهم خاطىء أو هوى جامح .

ـ فالسنة الى جانب القرآن يقرران الأحكام الحاكمة على الأوضاع والتقاليد والأعراف وما سمعنا ، بل

وما ثبت تاريخيا ما سبق زعمه من أن المسلمين سمحوا للعرف والتقاليد ان تحل محل الأحاديث ، وحكموا البلاد المفتوحة بأعرافها وتقاليدها ونحّوْا سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي أصبح من المعلوم الثابت بالضرورة ، ان المسلمين حكموا البلاد المفتوحة بنظم وشرائع الاسلام سواء في العلاقات الداخلية أم في العلاقات الدولية ، ولم يبق من الأعراف والتقاليد سائدا معمولا به ، الا ما هو عرف سليم لا يعارض النصوص أو القواعد والمبادىء العامة الاسلامية .

ـ ولم تكن السنة في حاجة الى التلفيق أو السرقة أو الاستمداد من مصادر أجنبية كالتوراة والانجيل والفلسفات اليونانية وأقوال حكماء الفرس والهند وغير ذلك ، كي تواجه حاجات المجتمع الاسلامي المتطورة ، وواقع المجتمعات المفتوحة المتطور . فهذا زعم يكشف القصور والجهل بالسنة الشريفة وبالقرآن الكريم من قبلها ، ويجهل الرابطة بينهما ، لقد جاء الاسلام بنظام متكامل مستقل ليواجه به غيره من النظم الاجتماعية ، لا ليقتات على جاهلية نظمها وأوضاعها وأعرافها .

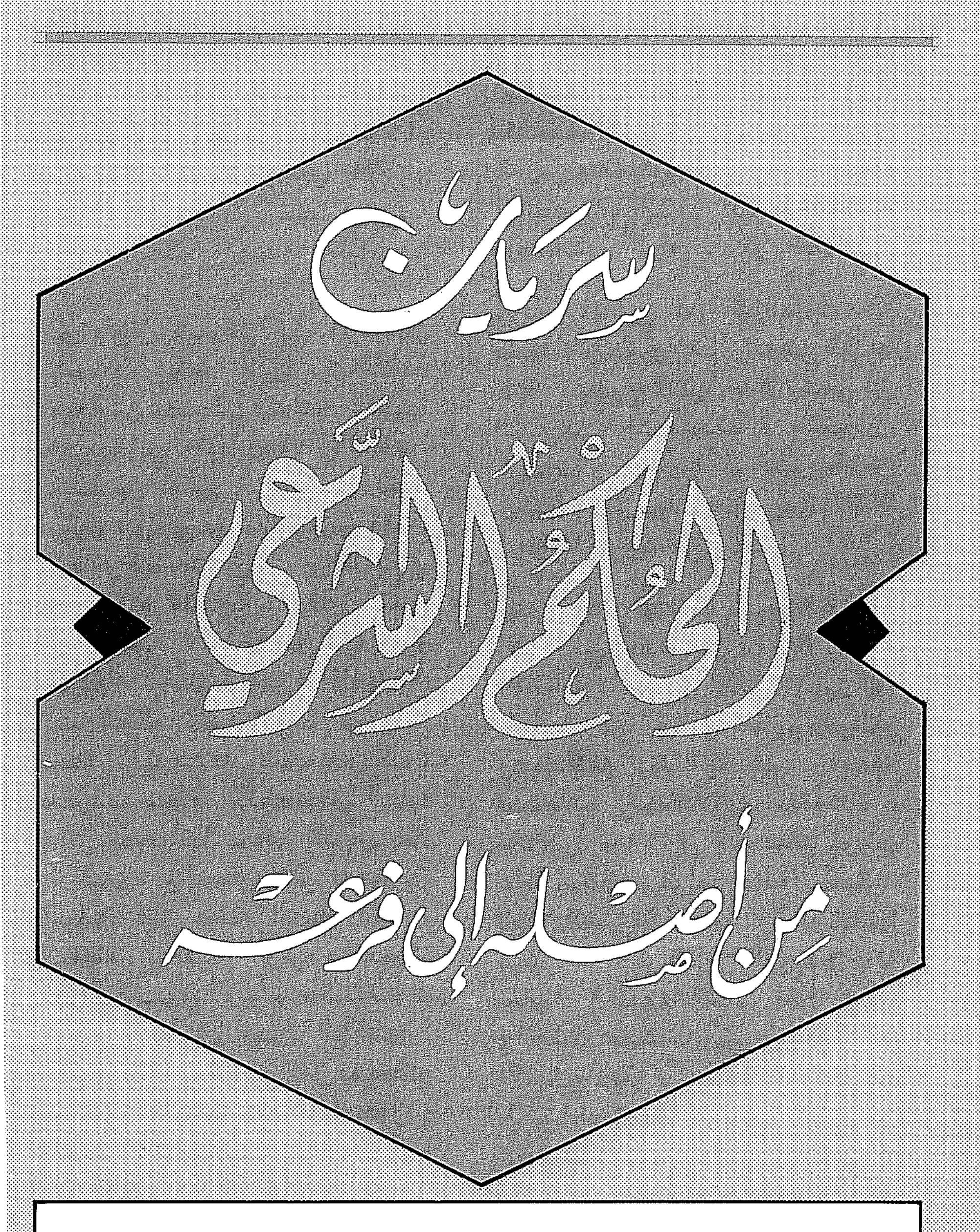
ـ يقول الشيخ محمد الغزالي رادا على زعم جولد تسيهر وأمثاله : ان البون بعيد جدا بين الاسلام والديانات التي سبقته ، وبعيد جدا بين الأمة الاسلامية التي قامت به والأمم الأخرى التي عاصرتها أو تقدمت عنها . وإن هذا المستشرق يريد أن يوهم بأن الدين الجديد ، اقتبس أو نقل من النحل والفلسفات الأخرى وبخاصة اليهودية والنصرانية ، وأن أمته لم تزد عن أن تكون جسرا للمعارف والآداب الأولي ، وان ادعت لنفسها الجدة والابتكار . ونقول : ان العقل كان يمكن أن يجيز هذا التوهم لو كان السابق أغنى من اللاحق وأقدر . لكن اذا كان الدين الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم أوسع أقطارا وأرحب آفاقا مما سبقه ، فكيف يتصور أن يأخذ الغني من الفقير ، وأن يستعين القادر بالعاجز ؟

ـ ان التوراة لم تتحدث عن الدار الآخرة ـ أعني الصحف التي بين يدي اليهود الآن ـ فهل ما حفل به الاسلام من حديث عن الدار الآخرة ، وعن الجنان وما فيها من مثوبة ، والنيران وما فيها من عقوبة مأخوذ من التوراة ؟

ـ والنصرانية ـ كما يعلم الجميع ـ عقيدة لا شريعة ، فهل ألوف الأحاديث التي نظم بها الاسلام الحياة العامة ، وخاض بها في أدق التفاصيل ، وصاغ منها شريعة جامعة رائعة ، هل هذه مأخوذة عن النصرانية .

ـ ان الملامح العلمية التي تفرد بها الاسلام ، والتي تميز شخصيته تمييزا حاسما ، لا حصر لها في أصليه العظيمين الكتاب والسنة ، وانه لمن السخف بمكان أن يقال : نقلت السنة النبوية عن الأمم السابقة الواهنة التي عاصرت النبوة . إن صاحب القصر الشاهق لا ينبغي اتهامه بأنه عمر داره السامقة من لبنات الأكواخ

المتداعية حوله .
- فالسنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع تأخذ صفة التشريع الاسلامي عامة تجاه قضية الثبات والتطور ، الثبات في الأصول والغايات والأهداف والتطور أو المرونة في الجزئيات والفرعيات والوسائل . فبالأصول والقواعد الثابتة تقوي الشريعة بأحكامها على التغير أو الذوبان وبالمرونة في الفروع تتطور بتغير الاجتهاد وفق الزمان والمكان ، وفي الاطار الشرعي الثابت في نفس الوقت .
- وتمثل دائرة الأصول الثابتة ، كل الأمور القطعية والنصوص المحكمة والمجمع عليها كفرضية الصلاة واعداد ركعاتها والزكاة والصوم والحج ، وحرمة الزنا وشرب الخمر والسرقة والقتل وفضيلة الصدق والأمانة والعدل ، فهذه وأمثالها لا يتصور أن يقبل الاسلام فيها تغيرا أو تطورا في الزيادة أو النقص ، فيحل ما كان حراما أو يحرم ما كان حلالا . وتمثل دائرة المرونة الأمور الظنية والاجتهادية ، فمجال المجتهدين فيها واسع جدا ، بل ان الظنيات بنيت عليها أكثر الأحكام الشرعية ، وللمجتهدين حق فهم النصوص ظنية الدلالة ، والاستنباط منها وفق ما يوصلهم اليه الدليل عن طريق القياس الصحيح أو إلحاق الحكم بأحد أبواب الأدلة كالمصلحة المرسلة أو الاستحسان أو قول الصحابي أو سد الذرائع أو شرع من قبلنا أو غير ذلك من أبواب الأدلة الأصولية ، سواء المتفق عليها أم المختلف فيها .
وللمجتهدين أيضا باب واسع مبني على أصول الكتاب والسنة والقواعد العامة لهما وهو باب القواعد الفقهية والأصولية ، مثل الضرر يزال ، والضرر لا يزال بالضرر ، الضرورة تقدر بقدرها ، الضرورات تبيح المحظورات ، المشقة تجلب التيسير ، الخراج بالضمان ، الأصل في الأشياء الاباحة ، العادة محكمة ، الى غير هذه من قواعد تفتح أبواب التطور والمرونة على مصراعيه الشرعيين . يقول ابن قيم الجوزية مبينا مبدأ الثبات والتطور في الأحكام : الأحكام نوعان : نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا يحسب الأزمنة ولا الأمكنة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود ونحو ذلك ، والنوع الثاني : ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا .
واذا كان هذا هو حقيقة التطور في ميزان السنة والشرع عامة . فهل يتمالك كلام المستشرقين على الوقوف أمام هذا البيان والميزان الواضح الثابت الناشيء عن دليل . واذا كان المستشرقون يقيسون أحكام الشريعة الاسلامية على فترات الجمود الفقهي في التاريخ الاسلامي ، فهو قياس خاطيء ، فان الذي جمد على النصوص هم الفقهاء وهذا لا يعني أن باب الاجتهاد قد أغلق - كما يريد المستشرقون أن يشيعوه ويعمموه على كل الأزمنة - بل هو باب مفتوح في مجاله المشروع المحدد في اطار الثبات والتطور الشرعيين .



للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

الحكم الشرعي التكليفي المتمثل في الوجوب والحرمة ، والندب والكراهة والاباحة .. له اساس ينبني عليه غيره من فروع الاعمال التي تعرض للمكلفين .. وليس لها حكم خاص في كتاب او سنة .. ويسمى هذا

الاساس : الاصل ، ويسمى ما ينبني عليه الفرع .. ويسمى مجموع بناء الفرع على الاصل بسبب علة او وصف جامع بينهما ، مشترك فيهما ليشملهما حكم واحد .. القياس ..

وهو دليل شرعي من الاصول التشريعية المتفق عليها بين الأئمة الاربعة من اصحاب المذاهب الفقهية المشهورة ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل .. ومن سلك سبيلهم ، ونهج على نهجهم من فقهاء الامة ، وعلماء الشريعة .. والقياس في اللغة معناه التسوية .. يقال : قاس الشيء بالشيء .. اذا ما ساواه به ، وفي الشريعة : مساواة الفرع للاصل في ذلك الحكم لاستوائهما في علة واحدة .. فهو من باب تخصيص اللفظ ببعض مسمياته ، كتخصيص الدابة ببعض مسمياتها .. وهو الفرس عند العراقيين ، والحمار عند المصريين فالقياس عند علماء اصول الفقه ، والفقهاء .. حقيقة عرفية .. مجاز راجح لغوي .. ولم يخالف في الاحتجاج به الا اهل الظاهر .. محتجين بقوله تعالى : (**ومن لم يحكم بما انزل فاؤلئك هم الفاسقون**) المائدة/٤٧ والجواب : ان القياس مما انزله الله تعالى في عمومات القرآن الكريم مثل قوله تعالى : (**فاعتبروا يا أولي الابصار**) الحشر/٢ .. اذ الاعتبار هو مجاوزة الشيء الى غيره .. وسمى المكثرون استعمال القياس : اصحاب الرأي وهم الحنفية .. فهم يقولون : الشريعة كلها ترجع الى تحقيق مصالح العباد ودرء مفاسدهم .. وعلى ذلك دلت ادلتها عموما وخصوصا .. وهذا معناه الاستقراء التام المفيد للقطع واصحاب الرأي .. او القياس

جردوا المعاني من الفاظها الدالة عليها ، واعتبروا هذه المعاني قواعد كلية .. يندرج تحتها ما لا يحصى من الحوادث المستحدثة ، والنوازل الجديدة .. فنظروا في الشريعة من خلالها ، وطرحوا خصوصيات الالفاظ (الموافقات للشاطبي جـ ٤ : ٢٣٠)

وقد دعاهم الى ذلك ضرورة الزحف الاسلامي المقدس على ما وراء حدوده الاصلية .. ودخول الناس في دين الله افواجا ، على اختلاف لغاتهم والوانهم وعاداتهم وتقاليدهم .. ومعهم قضاياهم ومشكلاتهم المتجددة .. فاتخذوا مما انزل الله تعالى قوانين عامة شاملة ، وقواعد جامعة مانعة .. تحقق للشريعة كمالها ، وللملة تمامها حسب ما اشار القرآن الكريم في قوله تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) ،المائدة/٣ وذلك عن طريق استنباط الوصف الذي من اجله جاء النص بالامر او النهي او بالاباحة .. مستعملين للوصول الى ذلك براعتهم الاجتهادية وحيويتهم الفكرية لمعرفة العلة من اصلها .. ثم سريانها الى فروع تشارك هذه الاصول في وصفها المعلل .. وكانت الشريعة قد تمت اصولا .. تارة بالقرآن وتارة بالسنة ، وتفصلت

مجملاتها ، وتبينت محتملاتها ، وقيدت مطلقاتها ، وخصصت عموماتها تارة بالنسخ ، وتارة بالاستثناء ، وتارة ثالثة بالتخصيص او غيره - ثم بقيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قانونا مطردا ، واصلا مستنا .. الى ان يرث الله الارض ومن عليها .. وعلى المستنبطين من الراسخين في العلم ان يفرعوا على هذه الاصول المحكمة ، ويرتبوا على تلك الكليات المقننة .. فالاصول باقية على عمومها وشمولها .. لا يلحقها تبديل ولا نسخ .. وكل ما وقع من خلاف بين الفقهاء انما هو في الامور الجزئية المتنازع عليها من حيث دخولها تحت هذه الكليات ، او خروجها عن تلك القواعد .. والحاكم بالقياس حاكم بما انزل الله تعالى في عمومات القرآن الكريم .. وقد قال تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه**)الحشر/٧ وقد جاء الرسول بالقياس فيما جاء به .. وان كان اسم القياس لم يعرف كاصطلاح شرعي الا فيما بعد ، والعبرة للمعاني لا للالفاظ في الادلة .. ومن ذلك : (ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلة الصائم .. فقال له عليه الصلاة والسلام : أرأيت لو تمضمضت بماء ثم مججته .. أكنت شاربه ؟) وهذا في مضمونه قياس حيث شبه ما بين المضمضة اذا لم يعقبها شرب وما بين القبلة اذا لم يعقبها إنزال (شرح تنقيح الفصول للقرافي/٣٨٦) ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام للخثعمية حين سألته عن جواز قضاء الحج عن ابيها المتوفى : (ارأيت لو كان على ابيك دين .. اكنت قاضيته ؟ قالت : نعم .. قال : فدين الله أحق أن يقضى).. وقد استعمل الصحابة رضوان الله عليهم القياس في اقضيتهم ، وحوادثهم .. وقد كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما : (اعرف الأشباه والنظائر ، وما اختلج في صدرك .. فألحقه بما هو اشبه بالحق).. ولابد لمن يتصدى لعملية القياس بين الاصل المنصوص عليه ، وبين الفرع الذي يراد الحاقه بالاصل لعدم ورود نص خاص به .. ان ينظر في الاصل نظرة من ثماني نظرات حتى يستدل بفكره الثاقب على مكمن العلة او مصدر الوصف .. الذي من اجله جاء النص محققا لمصالح العباد .. او دارئا عنهم مفاسدهم .. فان الاصل في النصوص الشرعية ان تكون مفهومة المعني ، مدركة القصد والمغزي .. لان الله لا يتعبدنا الا بما في طوقنا .. ولا يلجأ الى التعبد وتعطيل التعقل والفهم الا في الامور القليلة التي تستعصي على العقول والالباب وهذه الامور الثمانية هي :

١ - النص على العلة .. فان ذلك يغني المجتهد عن البحث عن غيرها مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من اجل ان ذلك يحزنه) رواه الشيخان عن ابن مسعود واللفظ لمسلم .. فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم علة

الحكم وهي الحزن .. فليست هناك علة سواها لهذا الحكم

٢ ـ الايماء الى العلة بطريق الاشارة لا العبارة ، والتلميح دون التصريح مثل العطف بالفاء في قوله تعالى : (**الزانية والزاني فاجلدوا** ..) النور/ ٢ الآية .. او ترتيب الحكم على وصف من الاوصاف مثل ترتيب الكفارة في الفطر في نهار رمضان على قول من قال للرسول صلى الله عليه وسلم : واقعت اهلي في شهر رمضان .. او السؤال من الرسول صلى الله عليه وسلم عن وصف المحكوم عليه : لقوله : (**أينقص الرطب اذا جف**)؟ ففي ذلك تنبيه على علة المنع عن بيع الرطب بالتمر متساويين .. ليستحضر السامع علة الحكم بدلا من البحث عنها ، او التفريق بين المتماثلين في حكم واحد كقوله عليه الصلاة والسلام : (**القاتل لا يرث**) في حديث (لا يرث القاتل شيئا) رواه أبو داود واحمد اي ولو كان ابنا للمورث مع تساويه مع ابنه غير القاتل في البنوة .. او النهي عن فعل يعوق واجبا كقوله تعالى : (**وذروا البيع**) بعد قوله تعالى :(**يايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله**) الجمعة/ ٩ فعلة التحريم هنا هو التشاغل بالبيع عن الجمعة الواجبة

٣ ـ المناسبة وذلك بالبحث بطريق العقل والفهم عن مكمن المصلحة .. لتقريرها .. او المفسدة لدرئها .. كتحريم الخمر .. لعلة الاسكار التي فيها مفسدة للعقول فتحرم من اجلها سائر المسكرات .

٤ ـ الشبه .. وفيه خلاف بين الفقهاء ومثاله تشبيه القعود للتشهد الاول بالقعود للتشهد الثاني في الصلاة الرباعية .. عند من يقول : بوجوبهما

٥ ـ الدوران .. ومثاله في الخمر ان نقول : العنب وهو عصير غير مسكر فليس بحرام .. فاذا صار مسكرا حرم .. فاذا تخللت الخمر المتخذة من عصير العنب المسكر حلت فدار الحكم مع الوصف وجودا وعدما فتكون العلة المحرمة هي الاسكار

٦ ـ السبر والتقسيم .. ومثاله في الخمر ايضا ان نقول : اما ان تحرم لسيلانها او للونها او لإسكارها .. لا جائز ان تحرم لمجرد السيلان فالماء سائل وهو حلال ولا جائز أن تحرم للونها .. فالالوان في المباحات كثيرة مثلها .. فلم يبق الا الإسكار فيكون هو العلة المحرمة

٧ ـ الطرد .. وهو ملغي عند الجمهور من الفقهاء ومعناه : اقتران التحريم بجميع صور الاصل في صفته بدون نظر الى تحصيله لمصلحة او درئه لمفسدة .. وهذا غير معتبر لان الاصل في الشرائع اعتبار المصالح أو درء المفاسد

٨ ـ تنقيح المناط وهو الغاء الفارق بين الاصل وفرعه فيشتركان في حكم واحد .. فاذا استوت صورتان ولم يوجد بينهما فارق .. فالظن القوي قريب من القطع باستوائهما في حكم واحد ..

العبث الصهيوني في سيرة موسى

للأستاذ : محمد فوزي حمزة

مقدمة :

كان في تخطيطنا أن يكون عنوان هذا المقال كالآتي .. «موسى .. في السيرة الصهيونية » ، ولكن عدلنا عنه لاقتناعنا التام بأن موسى عليه السلام لا يمكن أن يكون الا كما تحدث عنه القرآن الكريم ، وأن سيرته الحقة لا يمكن أن تكون الا كما قصها علينا القرآن الكريم ، ثم زادنا عزوفا عن هذا العنوان ما غلب على قناعتنا من أن الأخبار التي ذكرها عن موسى مؤلفو العهد القديم لا يمكن أن تكون أطرافا من سيرة نبي مرسل الا أن يكون موسى ـ وهذا محال ـ قد أرسل على هوى اسرائيل لا ليدعو الى دين سماوي أو الى رسالة اصلاحية ، ولكن ليضع أساسا دينيا للدعوة الصهيونية ، يرتب أهدافها ويؤسس منهاجها ويجمع أنصارها ويأمرهم « باسم الرب » أن يكونوا طغاة بغاة مفسدين في الأرض ، ولأجل هذا عدلنا عن خطتنا في عنوان هذا المقال ، وأستقر عندنا أن هذه الأخبار التي أمدنا بها « مؤلف العهد القديم » لا تصلح لأن تكون سيرة ، ولا تصلح لأن تسمى سيرة ، ولا تصلح الا لأن تكون أطرافا من شواهد العبث الصهيوني في سير الأنبياء .

وقد سبق أن قلنا في مقالات سابقة ان من يطلع على الهوة السحيقة بين حقيقة موسى وحقيقة الدين اليهودي من جهة ، و حقيقة هذا الشعب المشاكس من جهة أخرى يجد شهادة قاطعة على أن هؤلاء القوم لم يعرفوا من موسى شيئا عن الرب أو شيئا عن الدين ، كما سبق أن قلنا إن « كاتب العهد القديم » أدار سيرة موسى من خلال فكرة الغزو الصهيوني لفلسطين فأضاف الى سيرته من الاضافات الصهيونية ما أعطاه صورة ممقوتة على قدر مقاييسهم ، محدودة على قدر ضيق أفقهم ، وحوله من نبي يدعو الى الله الى زعيم للصهيونية يشبه الكثيرين من زعمائها الحاضرين ،

وهذا ما سنرى تفصيله في هذا المقال ، حيث سنستعرض أطرافا من هذا « العبث الصهيوني في سيرة موسى » .

سيرة موسى والشعب المختار :

لم يستطع أحد أن يهتدى الى وجه يجيز لبني اسرائيل أن يدعوا لأنفسهم قدسية فوق الشعوب ، ولكن هكذا كانت دعواتهم دائما .. أقصد قولهم بأفواههم أنهم « شعب الله المختار » ، تلك الدعوى الكاذبة التي حفلت بها الصهيونية وعمدت الى اذاعتها في كل حفل مسموع واثباتها في كل متن مكتوب ، حتى في أسفار « الكتاب المقدس » وكان متوقعا من أخبار صهيون ألا يغفلوها وهم بصدد تحرير سيرة موسى في العهد القديم ، وملخصها أنهم كما وصفوا أنفسهم في هذه السيرة « خواص أنتم لله ... اذ شعب مقدس لله إلهك واياك تختار الهك لتكون له شعبا خاصا من كل الشعوب التي على وجه الأرض ـ تثنية ١٤ : ١ ، ٢ »[1] ، ووفق السيرة الصهيونية يقول لهم موسى: إن الله أقسم ليثبتنهم شعبا مقدسا وينعت اسمه عليهم ويجعلهم رأسا لا طرفا ـ تثنية ٢٨ : ٩ ، ١٠ ، ١٣ ـ وأن الله ما أخرجهم من مصر الا ليكونوا له شعبا ـ تثنية ٤ : ٢٠ ـ وهو اذ أخرجهم منها فهم مملكته وقد أتى بهم على أجنحة النسور ـ خروج ١٩ : ٥ ، ٦ ، وفي هذه السيرة يبالغ موسى فيقول إن الله احتمل بني اسرائيل كما يحتمل الرجل أبناءه ـ تثنية ١ : ٣١ ـ ليس فحسب ولكن الله أيضا ينزل بينهم ليسكن فيهم ـ ٣٥ : ٣٤ ـ فيكونوا جميعا مقدسين بما فيهم الرب ـ عدد ١٦ : ٣ .

وفي «السيرة الصهيونية » لا يمل الرب أن يقول « قومي بني اسرائيل ـ خروج ٧ : ٥ ، ٦ » ، أو يقول « شعبي » ـ خروج ٨ : ٤،١ ، ٢٠ » ، أو « خاصتي » ـ خروج ٤ : ٢٢ » ، ولهذا حرصت هذه السيرة على أن يخاطب موسى فرعون لا باسم الله رب العالمين ، ولكن باسم « الرب اله العبرانيين » ، وعلى لسان موسى خلعت « السيرة الصهيونية » على الرب هذه التسمية ست مرات في سفر واحد هو سفر الخروج ـ ٧ : ١٦ ، ٩ : ١ ، ٥ ، ١٣ ، ١٩ ، ١٠ : ٣ ـ وربما لهذا أيضا تجد موسى يخاطب الرب بقوله « قومك » ـ خروج ٥ : ٢٣ ـ أو « قومك الشعب هذا ـ ٣٣ : ١٢ .

الا أن كاتب « السيرة الصهيونية » لم يستطع أن يحاصر روايته تماما فيخرجها كما يريد ، وانما افلتت منه بعض الشواهد الدالة على أن موسى عليه السلام لم يزعم لهم اختيارا من قبل الله أو يزعم لهم قداسة دونها كل الشعوب ، وأنه أوضح لهم أنهم ـ فقط ـ عباد الله لا شعبه المتميز ولا خاصته المختارة ، كان يقول لهم على لسان الرب : « فان لي بني اسرائيل عبيدا ، عبيدي هم الذين أخرجتهم من مصر ـ لاويين ٢٥ : ٢٤ ـ وهذا هو المعنى الوحيد

الذي نقبل نسبته الى موسى اذ يقابلنا مثله من القرآن الكريم قوله تعالى « **فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون** » ـ الشعراء ٥٣ .

الشعوب الأخرى :

ووفقا لدعوى « الشعب المتميز » يبدو الاستهتار بالشعوب الأخرى جليا في غير موضع من سيرة موسى بالكتاب المقدس ، ففي موضع يحرم على الاسرائيليين أن يمدوا الأجانب بشيء من تبرعاتهم أو يطعموهم من صدقاتهم ـ لاويين ٢٢ : ١٠ ـ وفي موضع أخر يحرم على الاسرائيلي أن يقرض بالربا اسرائيليا مثله ويصمت عن ذلك بالنسبة لإقراض الأجنبي ـ لاويين ٢٥ : ٣٦ ـ وفي ثالث يحذر الاسرائيلي من الزنا في نساء قومه ـ لاويين ٢٠ : ١٠ ، ويؤكد على ذلك مرة أخرى ـ لاويين ٢١ : ١ ـ ويصمت عنه بالنسبة للنساء من الشعوب الأخرى ، وقد فسر هذا الصمت في التلمود وفي غيره من شروح التوراة على أنه رخصة للاسرائيلي يأتيها إن شاء أن يزني بأمرأة الأجنبي أو يقرضه بالربا ، كما يؤمر الاسرائيليون بألا يستخدم بعضهم بعضا ولكن أبيح لهم أن يستعبدوا أبناء الشعوب الأخرى حتى المستجيرين بهم ـ لاويين ٢٥ : ٣٩ ـ ٤٦ .

ولا ترعوى « السيرة الصهيونية » أن تجعل موسى ينحاز دائما لبني اسرائيل حتى في مواقف بغيهم وعدوانهم وأن تجعله ناصرا لهم على الشعوب الأخرى مهما كانت، لا تبالي بأن يكون موسى منصفا ، ومن ذلك في هذه السيرة أن رجلا اسرائيلي الأم اختلف مع رجل اسرائيلي خالص فكان جزاؤه أن رمى بالكفر وكيلت له التهم جزافا وأمر موسى بقتله رجما ، ولم تعلن السيرة الصهيونية عن تحقيق أدين فيه الرجل وانما كان كل سندها في قتله انه لم يكن اسرائيلي الأب وأن خصمه كان اسرائيليا خالصا ، ويجوز بهذه المناسبة أن نورد قصة المصري الذي قتله موسى قبل أن يهرب من مصر الى أرض مدين ، اذ تدخل موسى في مشاجرة نشبت بين قريب له و هذا المصري فكانت النتيجة أن قتل المصري بضربة من موسى ، والمعروف يقينا أن موسى ما كان يريد أن يقتل المصري ولكن ظروف المشاجرة أدت الى قتله ، والقرآن الكريم يحكي هذه القصة في أطراف من سيرة موسى : **ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ....**

قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين القصص ١٥ ، وأنه طفق يستغفر الله ويقرر أنه لم يكن ليريد أن يكون منحازا للمجرمين (**قال رب اني ظلمت نفسي فأغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم ، قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين**) القصص ١٦ ، ١٧ . واضح اذن أن موسى قتل المصري خطأ من غير قصد

ولكن « السيرة الصهيونية » استغلت هذه الواقعة لتضيف من عبثها ما شاءت فأظهرت موسى مجرما يتضامن مع الاسرائيلي ويترقب الفرصة لقتل المصري ، وصورته - كالقتلة المحترفين - يتلفت يمنة ويسرة فلما لم يجد أحدا يشهد عليه تقدم وقتل المصري ودفنه في الرمال - خروج ٢ : ١١ ، ١٢ .

سيرة موسى والوعد المزعوم :

قلنا أن أسفار العهد القديم حرصت على أن تدير سيرة موسى من خلال فكرة الغزو الصهيوني لفلسطين ، وفي هذا المقام تقول السيرة المحرفة ان الرب عندما اطلع على سخرة بني اسرائيل في مصر « تذكر » وعده الذي سبق أن قطعه لأجدادهم .. وقد بينا في مقالات سابقة مآخذنا على هذا الوعد وشرحنا حجتنا في بطلانه وبطلان كافة الدعاوي القائمة عليه ، ونبين هنا اعوجاجا آخر في قولهم : « فسمع الله شهقتهم وراعى الله - أي تذكر - عهده مع ابراهيم ومع اسحاق ومع يعقوب - خروج ٢ : ٢٤ » ، فكأن الله - سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا - كان ناسيا وعده ، وطبعا يستحيل أن يقطع الله وعدا ثم ينساه ولكن السيرة الصهيونية تعيد التأكيد على هذا النسيان المستحيل فتقول على لسان الرب في موضع آخر : « وأيضا أنا سمعت شهقة بني اسرائيل لما المصريون مستعبدوهم وراعيت عهدي - خروج ٦ : ٤ » أي تذكرته ، وقد قر في قناعتنا ان الله تعالى لم يقطع لهم مثل هذا العهد وقد شرحنا ذلك في مقالات سابقة وليس هو همنا الآن ولكن همنا أن ما أثبته مؤلفو العهد القديم عن هذا الوعد في سيرة موسى ، فأنظر الى الترتيب السابق في تحول الوعد من ابراهيم الى اسحق ثم الى يعقوب ، ثم انظر عندما تحول مدار السيرة الى موسى تحول الوعد اليه اذ يقول الرب لموسى إنها الأرض التي « أقسم لأبائك بالاعطاء لك - خروج ١٣ : ٥ ، ١١ » ، ويكرر هذا المعنى في سفر آخر - عدد ١٠ : ١٠ - وقد كذب « الرب » في هذه المرة كل وعوده السابقة فهو لم يعد ابراهيم واسحق ويعقوب بأن يعطى هذه الأرض لذرياتهم ، ولكن وعدهم أن يعطيها لموسى ، وسنرى فيما بعد كيف أن الرب لم يعط الأرض لموسى بل إنه لم يلبث بعد موت موسى أن حول الوعد الى غيره ، والمهم أن الرب في هذه السيرة وعد موسى بالأرض على الرغم من علمه بأنها ليست أرضا مشاعا لمن يمتلكها وانما لها أصحاب يمتلكونها ويعيشون فيها فهى بنفس كلام الرب « أرض الكنعاني والحثى والأمورى والفرزى والجرشى والحيى واليبوسى - خروج ١٣ : ٥ ، ١١ ، ٣ : ٨ ، ١٧ » ولكن رب اسرائيل تعهد لموسى - في سيرته الصهيونية - بأن يطرد من هذه الأرض أصحابها ويملكها لاسرائيل - خروج ٣٣ : ١ - ٤ ، ٣٤ : ١١ - ليؤكد على طبيعة اغتصاب الأرض في الأساس الديني للعقيدة الصهيونية ،

وليتعهد بأنه سيعطيها لبني اسرائيل ويورثها لهم وراثة ـ خروج ٢٠ : ١٧ ، ٢١ .

من النيل الى الفرات :

وتصمم السيرة الصهيونية على أن الرب ما أخرج شعب اسرائيل على يد موسى من مصر الا ليغزو بهم فلسطين ويغتصبها لهم من أهلها ـ لاويين ٢٥ : ٣٨ ، وهذا ماحدا ببعض المؤرخين المستشرقين ألا يظن موسى نبيا وانما يظنه قائدا مصريا انشق بجماعة من أهلها وخرج يغزو بهم فلسطين ليؤسس هناك جيشا قويا ثم يعود ليفتح مصر ، وقد شجع على هذا التفكير أن موسى في هذه السيرة ذهب يستثير شره بني اسرائيل وتطلعهم الكاسح الى جني المصالح .. ! « اذ تدخلون الأرض التي أنا معطيكم وتحصدون حصيدها ـ لاويين ـ ٢٣ : ١٠ » ، وأنه ذهب ينظم عملية الغزو ويأمر باستطلاع الأرض ويرسل الجواسيس ليعرفوا طرقها ومدى قوتها وتحصينها وكيفية دخولها ، أما عودة « البطل الصهيوني » لغزو مصر فقد شجع عليه إشارة هامة الى مصر تضمنها في هذه المرة الوعد الذي اتسع نطاقه ليشمل « من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات والى البحر الأخير ـ تثنية ٣٤ : ١ ـ ٤ » .

ولكن ، وعلى الرغم من كل هذا المسخ الصهيوني لشخصية موسى ، فان الرواية المقدسة ذاتها لم تستطع ـ كما قلنا في مقالات سابقة ـ الا أن تثبت وأن تؤكد على أن موسى أتم مهمته وأدى رسالته وقضى نحبه ولقى ربه دون أن يدخل بشعبه الى فلسطين ، هذا ما أثبتته الرواية في السفر الأخير من توراة موسى ـ تثنية ٣٢ : ٥٢ ـ وهذا ما عادت لتؤكد عليه في موطن آخر من ذات السفر اذ قال له الرب بالحرف الواحد : « هذه الأرض التي أقسمت لآبائك لابراهيم واسحق ويعقوب قولا لنسلك أعطيها ، قد أريتك بعينيك وهناك لا تعبر ـ تثنية ٣٤ : ٤ » ، وهذه هي الحقيقة التي أرهق عقول الصهاينة تفسيرها على نحو لا يضر بالدعاوة الصهيونية التي تجعل من أغتصاب فلسطين احدى أساسيات الدين اليهودي .

رب الجنود ... في سيرة موسى :

ولم يأل مؤلف السيرة الصهيونية جهدا في اشباع سيرة موسى بأسطورتي « العهد الالهى » والشعب الممتاز » ، حتى أن هذا المؤلف جعل موسى ينادي بهاتين الخرافتين ويوليهما اهتماما اكثر من تعاليم الدين اليهودي نفسه ، ويتشبع بهما حتى أنه جعلهما جزءا هاما من تسبيحته التي يقول فيها « حتى يعبر شعبك يا ألله .. حتى يعبر الشعب هذا الذي ملكت تدخلهم وتغرسهم في جبل نحلتك المعد لسكينتك يا ألله ـ خروج ١٥ : ١٦ ، ١٧ ، أما أسطورة « رب الجنود » ، فهى خرافة أخرى من أساطير بني اسرائيل تتخذها

الصهيونية الحاضرة والغابرة سواء وتجعلها في أساسها الديني وتؤكد عليها في أكثر من موضع في أساطير العهد القديم ، وملخص هذه الأسطورة أن لاسرائيل ربا عجيبا عقد معها حلفا سياسيا ينزل بمقتضاه ليقيم بين ظهراني اسرائيل ويسير مع شعبها ويتقدم جيشها ويضرب الجيوش بسيفه من أمامها ويجلب لها النصر في كل مرة ، وفي المقابل « تساعده » اسرائيل فينتصر بها على « آلهة الشعوب الأخرى » !! .

ولما كانت سيرة موسى هى همنا في هذا المقال فقد ذهبنا نرى كيف عمل مؤلفو السيرة الصهيونية على دس هذه الأسطورة والتذكير بها في اخبارهم عن موسى . فرأينا موسى يحدث شعبه عن رب الجنود « الذي يحارب عنكم وأنتم تصمتون - خروج ١٤ : ١٤ » ، ويصفه بأنه إله « جبار في الحروب - خروج ١٥ : ٣ » ، ويطمئن شعب اسرائيل فيقول له إن « الهك سائر في جملة عسكرك لانقاذك ولجعل أعدائك بين يديك - تثنية ٢٢ : ١٤ » ، « السائر بينكم هو يحارب عنكم - تثنية ١ : ٣٠ » ، « ويقرض شعوبا كثيرة بين ايديكم - خروج ٣٤ : ٢٤ » ، ولما كان هذا الرب حليفا لاسرائيل فان حلفه يقتضيه أحيانا أن يشترك مع قادة جيشها في مجلس الحرب وقد اشترك فيه غير مرة وأشار بتجسس الأرض المزمع غزوها والتعرف على عوراتها ومداخلها - عدد ٣ : ١ - ٢٧ » ، بل انه احيانا يعمل قواه ليفسد التحالف الذي قد تفكر فيه البلاد المرشحه للغزو الاسرائيلي - عدد ٢٢ ، ٢٣ كلها - الى غير ذلك .. عجبا .. انه « ليس كاله اسرائيل .. يطرد من بين يديك العدو ... من مثلك يا شعبا مقدسا مغاثا من الله ترس عيونك وسيف اقتدارك فينحسر أعداؤك لك وأنت على جماجمهم تطأ - تثنية ٣٣ : ٢٦ - ٢٩ » .

ابتزاز التأييد :

ولما لم يكن مؤلفو العهد القديم يريدون أن يكون للرب دور غير دور القوة الكبرى التي تساند اسرائيل في مطامعها الصهيونية ، فإنهم ذهبوا يستغلون« تصريحات الرب » بأختيارهم وتوريثهم فلسطين واعلائهم على شعوب الأرض ليحاوطوا الرب بهذه الوعود ويستعملوها ورقة رابحة يلوحون له بها فيضطر الى النزول على رغباتهم ويبذل تأييده لهم ، حتى أنهم صوروا موسى في سيرته زعيما لعصابة اسرائيل وسفيرا لها عند الرب يبذل مساعيه « لابتزاز تأييده » كلما أرادت اسرائيل ، ويناسب هنا أن نطلع على العبث الصهيوني في خبر موسى اذ طلب من الرب ان يعاونه بها روناخيهاذ المعروف أن موسى توجه الى ربه بمنتهى الأدب وخاطبه بأدب النبوة داعيا اياه قائلا (**رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي. واجعل لي وزيرا من أهلي. هارون أخي. اشدد به أزري. وأشركه في**

أمري) طه : ٢٥ ـ ٣٢ » ، ولكن القصة في « السيرة الصهيونية» توحي بأن موسى كلم ربه في هذا الشأن « بلهجة حادة » مما تسبب في أن « يشتد وجد الله ـ أي غضبه ـ على موسى » ويقول له « بلهجة حادة » أيضا : « أليس هارون أخوك اللاوى ـ خروج ٤ : ٣ ـ ١٧ » ، ويبدو من السياق في بقية القصة أن الرب أمد موسى بهارون وهو متذمر منه ولكنه رغم تذمره « لم يقو » على الامتناع عن طلبات موسى طبقا لوعوده الى بني اسرائيل .

وفي موضع آخر ترى موسى يخاطب الرب محتدا ومحتجا معا أن يرسله الرب الى فرعون وهو يعلم أنه قصير اللسان ضعيف البيان : « فقال موسى في حضرة الله قولا ان بني اسرائيل لم يسمعوا منى فكيف يسمع فرعون مني وأنا قصير اللسان ـ خروج ٦ : ١٢ » ، وتراه في موطن ثالث يخاطب الرب بضجر شديد « فقال موسى في حضرة الله انني منعجم اللغة فكيف يسمع مني فرعون ـ خروج ٦ : ٣ » ، وشتان بين هذا الضجر الشديد وهذا الاحتجاج الحاد والأدب الجم الذي نرى عليه موسى في السيرة القرآنية اذ يتوجه الى ربه ويقول له بأدب شديد (**قال رب اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل الى هارون)** الشعراء ١٢ ، ١٣ » أو قال له (**وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون)** القصص ٣٤ » ، وازاء هذا الأدب الجم فان الله تعالى وجه الخطاب الى موسى و(**قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون** ـ القصص ٣٥ » .

وفي مواطن أخرى من هذه السيرة ترى موسى وهارون يتوجهان الى الرب ويبلغانه استنكارهما الشديد عندما هم بأن يأخذ الجماعة كلها بذنب واحد منها ـ عدد ١٦ : ٢١ ـ ، وأحيانا أخرى تجد موسى « يحذر » الرب من الاضرار ببني اسرائيل وقد بدت بوادر غضبه عليهم ـ عدد ١٤ : ١٣ ـ ١٩ ـ وفي سفر الخروج يغضب الرب على اسرائيل فيخاطبه موسى مستعطفا ولكنه يلوح بتحذير الرب من شماتة المصريين ، وجدير بالذكر أن المصريين عند شعب اسرائيل هم أعداؤهم وأعداء الرب ، ولكن موسى في النهاية لم يجد بدا من التلويح في وجه الرب بالورقة الرابحة فذكره « بتصريحه الرسمي » باختيار اسرائيل وهنا ضعف الرب أمام معاهدته مع اسرائيل ولم يجد مندوحة من العدول عن غضبه ـ خروج ٣٢ : ٧ ـ ١٤ .

وأكثر من ذلك ـ وأغرب ـ عندما يغضب الرب على شعب اسرائيل ويقدر لهم بعض المتاعب عقابا على ما صنعوا فيتذمر عليه موسى ويوجه اليه « خطابا شديدا » حول المهام التي كلفه بها حتى أن موسى ـ في السيرة الصهيونية ـ ليكاد يلعن اليوم الذي قابل فيه الرب وقبل تكليفه بهذه

المهام ، أنظر الى هذا الغضب الشديد وهذا الاستجواب : « لماذا أضررت بالشعب هذا ؟؟ ولماذا أرسلتني ؟؟ » وانظر الى هذا اللوم العنيف : « ومنذ دخلت الى فرعون للمخاطبة باسمك أسيء الى الشعب هذا وخلاصا لم تخلص ـ خروج ٥ : ٢٢ ، ٢٣ » ، أما بعد غضبة الرب بعد اتخاذهم العجل فان موسى قد شعر بأنها خطيئة كبيرة قل أن يغفرها الرب لو أنه لم يتصلب أمامه ويوجه اليه « تهديدا قويا » اذا لزم الأمر ، وبالفعل لم يتورع مؤلف هذه السيرة أن يجري قلمه على لسان موسى ليهدد الرب بالتنحي عن الرسالة ويبلغه أنه سينسحب ـ هو وشعبه ـ من المعاهدة أو يلغيها « من جانب واحد » ، يقول هذا المؤلف على لسان موسى : « والآن إن تغفر خطيئتهم فاغفره والا فامحاني من كتابك الذي كتبت ـ خروج ٣٢ : ٣١ » ، ولكن يبدو أن الرب كان صارما هذه المرة اذ أنه عاقب اسرائيل ولم يعبأ بالتهديد .

سيرة موسى .. تهمل موسى وتعنى بالسفاح :

قلنا إن موسى ـ حتى في الرواية اليهودية للتاريخ ـ أدى رسالته ولقى ربه دون أن يدخل بشعب اسرائيل الى فلسطين ، وأن هذه حقيقة حيرت العقول الصهيونية في تفسيرها على نحو لا يضر بالدعاوة الصهيونية التي تجعل من اغتصاب فلسطين احدى أوليات الدين اليهودي ، ولكن مؤلف « السيرة الصهيونية » لم تطل حيرته ولم يعدم الوسيلة ليدس في سيرة موسى أنه إذ أحس بدنو أجله جعل يعظ شعبه ويوصيهم بغزو فلسطين ـ تثنية ٤ : ٢٢ ، ويضع الترتيبات الأولى لعملية الغزو ويعقد مجلس الحرب ويأخذ القرار باستطلاع الأرض وجمع المعلومات عن سكانها وقوتها وكيفية اختراق حصونها ، ولكن ـ ومع كل ذلك ـ لم يزل موسى نبيا يدعو الى الله ويأمر بالاصلاح ، ولم يستطع مؤلفو سيرته برغم كل ما أضافوا اليها وحوروا فيها من أعمال المسخ والتشويه أن يثبتوا أهدافا صهيونية يزعمون أنها تحققت على يديه ، ولهذا فانهم يئسوا منه وفقدوا الأمل في الاحتفاظ به زعيما لعصابتهم وقائدا لها الى تطلعاتها الصهيونية ، وازاء ذلك شهدت السيرة أنهم بدأوا يستهترون به وبوجوده بينهم فيعصونه ويبينون له ضجرهم منه وضيقهم به وبشريعته ، وقد بلغ الاستهتار بموسى درجة قصوى عندما بدأ فساق بني اسرائيل يجلبون النساء الزانيات الى خيمة موسى ويفسقون بهن حتى في مجلس موسى ، في حضرته وبمشاهدته ودون حساب لوجوده ولا حتى حياء منه ـ عدد ٢٥ : ١ ـ ٧ .

وبينما موسى مايزال حيا يقيم بين ظهراني اسرائيل ، وبينما مؤلف التوراة مايزال مشغولا في سيرته ، تجد شعب اسرائيل مشغولا في البحث عن زعيم يجعلونه عليهم بعد موسى

تتوفر فيه المقومات الصهيونية التي يصبو اليها شعب اسرائيل ولا يجدها في موسى ، وقد وجدوا ضالتهم في جندي منهم هو « يشوع بن نون » توسموا فيه الجدارة لأن يتزعم عصابتهم الى تطلعاتهم الصهيونية ، فقدموه عليهم وقال مؤلف السيرة أن موسى جعله نائبا له وقائدا لجنوده وسماه « معانا » ، وقد كان يشوع بن نون يحتوي على نفسية صهيونية خالصة وتحققت على يديه بعد أن خلف موسى أهداف صهيونية كبرى ، وقد أغرى ذلك مؤلف السفر ودفعه الى العناية بشخصية يشوع حتى من خلال سيرة موسى والى العمل على « تلميع » اسمه كلما حانت الفرصة لذلك ، وقد بدأ المؤلف عملية التلميع هذه مبكرا في سفر الخروج ، أي قبل الانتهاء من سيرة موسى بثلاثة أسفار كاملة ، واستغرقت منه هذه الأسفار الثلاثة من أربعة أسفار هي كل سيرة موسى الذي لم تكن توراته بما فيها سيرته سوى خمسة أسفار ، وقد ذكر هذا المؤلف أطرافا من سيرة يشوع مرتين في سفر الخروج ـ ١٧ : ٩ وما بعدها و ٣٢ : ١٧ وما بعدها ـ وثلاث مرات في سفر العدد ـ ٢٧ : ٢٢ ـ ٣٢ ، ٣٤ : ١٦ ، ٣٦ : ٣٧ ـ وسبع مرات في سفر التثنية ١ : ٣٨ ،، ٣١ : ٢ ، ٣ ،، ٣١ : ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ٢٣ ،، ٣٤ : ٥ ، ٧ ، ٩ ـ كل ذلك على سبيل التلميع ، الا أنه في سفر التثنية ـ وهو الذي بانتهائه تنتهي سيرة موسى ـ جعل يهيىء يشوع للحلول محل موسى في الاختصاص « بالعهد الالهي » لبني اسرائيل .

نهاية غامضة :

ولم يكد يموت موسى حتى بدا من مؤلف العهد القديم أنه استراح من سيرته ومن الجهود الجبارة التي كان يبذلها في تخريبها وتحويرها من سيرة نبي الى سيرة زعيم صهيوني في الزمن القديم ، وقد ودع العهد القديم سيرة موسى وداعا فاترا حتى أنه لم يحقق كيف مات ولا في أي موضع كان قبره ولا كيف تم تجهيزه أو دفنه ، ولم يذكر له كلاما عند موته الا زعمه أن موسى أوصى بغزو فلسطين ، واكتفى بتسجيل موتته الغامضة في أرض مؤاب . وقد قلنا في مقالات سابقة إن مؤلفي العهد القديم أضاعوا موسى بعد ذلك وأضاعوا التوراة ، وهنا نضيف أنهم أهملوه حتى قبل موته وهو مايزال في أيامه الأخيرة لأنهم كانوا يتعجلون تشطيب سيرته ويستعجلون استقبال سيرة يشوع التي هرولت اليها أقلامهم بشهية مفتوحة ونشاط كبير ، ولا غرو فقد كان يشوع ـ كما أكدت سيرته فيما بعد ـ زعيما صهيونيا خالصا وجده المؤلف الصهيوني فرصة ذهبية ليحول اليه وعد صهيون ويحقق من خلاله أهداف الصهيونية في فلسطين .

(١) في اعداد هذا المقال كان اعتمادنا الأساسي على الرواية اليهودية للتاريخ ، وقد اثبتنا هذه الاشارات للدلالة على موضع النص المقصود من هذه الرواية ، وتتضمن هذه الاشارات اسم السفر ثم رقم الاصحاح داخل السفر ثم رقم النص داخل الاصحاح ، ومعناه ان هذا النص من سفر التثنية اصحاح ١٤ نص رقم ١ ، ٢ وهكذا بالنسبة لغيرها من الاشارات .

مآثر العلماء الجزائريين

« إنّ احتلال الجزائر قرن من الصّليبيّة

للدكتور / حسن فتح الباب

من الأقوال المأثورة عن الشيخ بشير الابراهيمي أحد رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قوله : « ان احتلال الجزائر انما هو قرن من الصليبية نجم ، لاجيش من الفرنسيين هجم » . بل ان الفرنسيين انفسهم لا يكتمون هذه الحقيقة ، فقد ناشد الكاتب الفرنسي « شاتوبريان » الملك لويس الثامن عشر المبادرة الى غزو الجزائر ، في خطاب اليه بتاريخ ٩ ابريل ١٨١٦ قائلا : « إن فرنسا كانت هي الدولة التي خرجت منها اولى الحملات الصليبية . فلتكن كذلك هي آخر من يرسل آخرها » . وشهد شاهد آخر من رجال دولتهم بل رأسها بذلك ، اذ أعلن الملك شارل العاشر في ٢ مارس ١٨٣٠ أي قبل الغزو بأربعة أشهر الهدف الصليبي للحملة بقوله : « إن التعويض الذي أريد الحصول

في مكافحة التبشير

« نجم الاحتلال جيش من الفرنسيين هجم »

الشيخ بشير الإبراهيمي

عليه وأنا أثأر لشرف فرنسا سيتحول بمعونة الرب القدير لصالح المسيحية » .

كما قدم وزير الحربية الفرنسي لهذا الملك تقريرا في ١٤ اكتوبر ١٨٢٧ جاء فيه : « لعلنا ـ مع الزمن ـ سيكون من حظنا أن نمدنهم ـ أي الجزائريين ـ وذلك بجعلهم مسيحيين » .

وأسبغ « الفاتيكان » الصبغة الشرعية على هذا العدوان البربري بمباركته له وتحريضه عليه ، (اذ أمر « البابا » في ٢٣ مارس ١٨٣٠ ممثله في فرنسا) بابلاغ الحكومة الفرنسية تأييده وتعهده بتكوين جيش من المتطوعين المسيحيين على نفقته . وما ان نفذت الجريمة التاريخية الشنعاء حتى استقبل البابا قائد الحملة بعد عودته من الجزائر « ليهنئه على دوره في الاحتلال » . فما أشبه الليلة بالبارحة ، اذ يتحد أصحاب العروش الأوربيون وسدنتهم تحت مظلة الدين مع ممثله الرسمي في الاعتداء على شعب آمن وتجريده من مقوماته وطمس شخصيته العربية الاسلامية حتى يجردوه من أمضى أسلحته في مقاومتهم ، فيسهل عليهم بذلك

احتـواؤه واستغلالـه ، اذ شـرع الاسلام الجهاد في سبيـل النفس والعرض والأرض ، وكل من مات دفاعا عن هذه الحرمات فهو شهيد بالامس ، في عصر الحروب الصليبية ، ركب ملوك أوروبا وأمراؤها موجة الـدين المسيحي ، فرفعـوا شعـار الصليب ، والمسيح عليه السلام منهم براء ، وعزفوا على وتر انقاذ بيت المقدس من المسلمين ، وهم الذين حمـوه وصانـوه ، وجعلوا الحـرم الشـريف مصـلى لأهـل الأديـان السماوية الثـلاثة وموطنـا للحقوق الانسانية وملتقى للحضارات . لقد استغلت الطبقـة الملكية الحـاكمـة وأعوانها من الأشراف الاقطاعيين ورجال الكنيسة العاطفة الدينية لدى الشعوب المسيحية لتحقق هذه الفئات البـاغية أهـدافها الاستعمـاريـة ، واستطـاعت ان تحتـل في القـرن الخـامس الهجري سـاحل الشـام وفلسطـين ، مستغلة الخـلاف بين الأنظمة العربية الحاكمة وتوزعها الى دويـلات متنـازعـة . ولم يستطـع المسلمون اجلاءهم الا بعد تضامنهم وتحرير ارادتهم وعملهم المشترك في التخطيط والتنظيم والتعبئـة لقهـر أعدائهم واسترداد ما اغتصب من أوطانهم .

ولكن المطامع الاستعمارية والرغبة في اعادة السيطرة على العالم العربي الاســلامــي ظلت الـهـدف الأول للأوربيين ، فأعادوا الكرة مستخدمين سلاح التغريـر والتخديـر بالـدين المسيحي الذي حرفوه . فكان غزو الجزائر في عام ١٨٣٠ لنهب ثرواتها واستنـزاف خيراتهـا تحت غطـاء المسيحية ، وكانت محاربة الاسلام والقضاء على القيم العربية الاسلامية لتمهيد السبيل الى هذا الاستغلال ، ادراكا منهم لما يفجره الاسلام من الطاقات الكامنة في نفوس معتنقيه ، وما يأمرهم به من دفاع حتى الموت عن حرية العقيدة وسائر حقوق الانسان .

وهكذا وضـع الاستعمار الفرنسي الاستيطـاني في الجزائـر مخططـا شيطانيا متكاملا من شقـين ينفذ أحدهما بالقوة والآخر بالخـديعة ، لاقتلاع الجذور الاسلامية المتغلغلة في هذه الأرض العربية ذات التاريخ العريق في معارك الجهاد بدءا من الفتح الاسلامي على يد الفـرسان القادمين من أرض الرسالة في المشرق بقيادة موسى بن نصير وأهل البلاد من البربر الذين دخلوا في دين الله أفواجا ، ونبـغ منهم العباقـرة في الحروب مثل طارق بن زياد فاتح الأندلس ، فحرروا الأنفس من ترهات الباطل وأوهام الافك ، وطهروا الأرض من أغلال العبودية ، وانتهاء بثورة التحرير الكبرى في الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ م عـلى يـد المجـاهـدين الجزائريين ، وما بين هذا المبتدأ وذلك المنتهى من ملاحم القتال البطولية التي قـادهـا الأمـير عبدالقـادر الجزائري ، ثم المقراني وأبو عمامة وغيرهم من رواد حركات المقاومـة الشعبية التي كان الدين الاسلامي أكبر حوافزها في مجالدة العدو وخوض المنـايـا رافعـين شعـار النصر أو

الاستشهاد .

المذابح الصليبية :

وقد استخدم الغزاة في سبيل تحقيق الشق الأول من مخططهم الجهنمي الخاص باستئصال الروح والقيم الاسلامية أعتى أساليب القمع والارهاب وأكثرها وحشية ، مما يعتبر عودا على بدء ومثالا مجسدا لمقولة التاريخ يكرر نفسه وان اختلفت الظروف ، اذ تذكر من الأساليب بمذابح الصليبيين الأوائل بالقدس ومذابحهم بعد ذلك بالأندلس ، وتجعل حملاتهم في القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد في المشرق العربي ، وحملاتهم في القرن التاسع عشر في المغرب العربي ، حلقتين في سلسلة واحدة رغم الفترة الزمنية الطويلة التي فرقت بينهما ، والتي تخللتها في آخر القرن الثامن عشر حملة بونابرت على مصر واقتحام جنوده الجامع الأزهر ، ثم دخول الفرنسيين دمشق في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ووقفة القائد الفرنسي السفاح « جورو » على قبر صلاح الدين الأيوبي ، مطلقا كلمته الحاقدة المشهورة : « هاقد عدنا يا صلاح الدين « ، مشيرا الى أخذه بالثأر من سقوط الصليبيين تحت سنابك البطل المسلم واستعادته بيت المقدس في ليلة الاسراء ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هجرية بعد استيلائهم على مدن الساحل ، وتحريرها من طغيانهم واستغلالهم .

وتبين لنا طبيعة الحكم في الدولة الفرنسية التي غزت الجزائر وفي الدول الأوربية الأخرى ، ما اصطبغت به من نزعة عدوانية رهيبة كان لها أثرها المدمر لافي البلاد العربية الاسلامية التي استولت عليها فقط بل في البلاد الأوربية أيضا . فعلى أثر التحالف الأوروبي ضد نابليون سنة ١٨١٤

فرضت فرنسا معاهدة صلح «باريس» التي عادت بمقتضاها الملكية التي أسقطتها الثورة الفرنسية الى الحكم بدعوى اعادة الحقوق الشرعية ، ومثلما نصب لويس الثامن عشر على عرش فرنسا ؛ أعيد غيره من أمراء البيوت المالكة البائدة في أوروبا ، دون اقامة أي اعتبار لقومية السكان وحقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم واختيار حكامهم . فكانت السياسة الرجعية التي استنتها الدول العظمى في ذلك الحين ترتكز على القوة العسكرية ، وتقوم على التصفية الجسدية للمناضلين دفاعا عن حقوق الشعوب ، وقمع الحركات المطالبة بالحياة الدستورية ، واهدار المبادىء القانونية والأخلاقية ، ومجافاة الخلق السياسي القويم ، وذلك في سبيل تحقيق السيطرة وفرض النفوذ والاثراء على حساب المستضعفين .

تهديم المساجد أو تحويلها الى كنائس ومعسكرات :

بمثل هذه الأساليب القمعية وأشد منها بطشا وتنكيلا ، عاث جنرالات الملك شارل العاشر وجنوده فسادا في

أرض الجزائر منذ دخلوا مدنها وغزوا قراها . وكانت العروبة والاسلام أشد عقبتين في طريق تثبيت احتلالهم وتوطيد سلطانهم ، فعمدوا الى تهديم بيوت الله أو إغلاقها وتحويلها الى كنائس أو معسكرات ، أو بيعها بالمزاد العلني . ويقول الباحث الجزائري الأستاذ محمد الهادي الحسيني في هذا الشأن نقلا عن مصادر موثوقة ، ان مدينة الجزائر العاصمة كانت قبل الاحتلال الفرنسي مكتظة بالمساجد ، إذ كان يوجد بها ثلاثة عشر جامعا كبيرا وتسعة ومائة مسجد صغير ، وثلاثون من مساجد الأحياء ، واثنتا عشرة زاوية ، فأصبح معظمها أثرا بعد عين ، إذ لم يبق منها بعد ثلاث سنوات من الاحتلال الا ربعها . فقد أعمل فيها الفرنسيون معاول التهديم والتحطيم ، وحولوا الباقي الى كنائس أو مبان تخدم أغراضهم دون أن يرعوا حرمتها التي تنص عليها الشرائع والدساتير . وهكذا أصبح جامع كتشاوة الكبير الذي بني في عصر الولاة الأتراك كاتدرائية باسم القديس فيليب ، وسارع البابا فزود تلك الكنائس من مقره بالفاتيكان بالأيقونات والتماثيل والصلبان . كما حول مسجد علي بتشيني الى كنيسة باسم «نوتردام دو فكتوار» ومسجد القصبة إلى كنيسة باسم الصليب المقدس .

وهدم الصليبيون الجدد مساجد وزوايا ومدارس ملحقة بها في مدن الجزائر وقسنطينة ووهران والمدية لتقام على أنقاضها مساكن ، أو لتحول الى حمامات أو مدارس فرنسية أو مستشفيات أو ثكنات عسكرية أو مراكز للذخيرة ، دون أدنى وازع من ضمير أو نازع حضاري انساني لدى برابرة العصر الحديث المتشدقين بالحرية والعدل والمساواة شعار الثورة الفرنسية الذي زيفوه . فلم ينج من هذا التدمير أو التخريب في جميع أرجاء الجزائر إلا ستة وستون ومائة مسجد ، على حين أقيمت في ذلك البلد الاسلامي ٣٢٧ كنيسة للمسيحيين وخمس وأربعون بيعة لليهود الذين استظلوا بظل الغزاة ، ومارسوا احتكاراتهم الربوية في حماية الرماح الفرنسية ، ليزيدوا أصحاب البلاد الشرعيين فقرا على فقرهم . وبلغ العسف والغطرسة بالمستعمرين المتعصبين وسعيهم الدائب للقضاء على المقومات الاسلامية بالجزائر إلى حد إجبار أئمة المساجد القليلة التي أبقوا عليها - ذرا للرماد في العيون واتقاء لثورة الجماهير - على أن يدعوا في المساجد لملك فرنسا ، وإكراه القضاة المسلمين الذين أصبح تعيينهم من اختصاص هذا الملك على أن ينطقوا بالأحكام باسمه -.

إن الهدف الأساسي الذي يكمن خلف العمل على تجريد الشخصية الجزائرية من عقيدتها الدينية كان إدماج الجزائر بفرنسا في إطار الادعاء بأنها جزء لا يتجزأ من الوطن الأم القابع على الساحل الآخر للبحر الأبيض المتوسط . ومن ثم اختطوا سياسة الاحتواء عن طريق تغيير الطابع الجزائري أرضا وانسانا ،

دينا ولغة وثقافة ، حتى ينسى أهلها أصولهم ويذوب كيانهم في بنية الغاصب الدخيل رويدا رويدا ، مثلما يصنع الصهاينة اليوم في مدينة القدس . وكان في مقدمة الوسائل التي اتخذتها السلطات الفرنسية لتحقيق هذا الغرض الاستعماري الصليبي القائم على تغيير التركيب الديمغرافي والسكاني واستبدال الكنائس بالمساجد ، والاكثار من بناء الكنائس في الساحات العامة للمدن والقرى وعلى سفوحها ورباها ، لتكون أول ما يلقاه الداخلون إلى تلك الربوع ، وإطلاق أسماء قوادهم ومشاهيرهم على الميادين والشوارع ، وفي ذلك ما فيه من تأثير نفسي يومىء بسيادة الجو المسيحي ، ويجعل الحاضر المصطنع أمرا واقعا ، على حين يتراجع المناخ الاسلامي الأصيل الى أعماق التاريخ فينسى ـ كما ظن المستعمرون ـ بعد حين . ومما يدل على هذه السياسة الخادعة الجائرة قول سكرتير الجلاد الطاغية الجنرال بيجو عند تدشين احدى الكنائس : « إن آخر أيام الاسلام قد دنت . وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح . ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أية حال أنها قد ضاعت من الاسلام إلى الأبد » .

سياسة التنصير :

إذا كان الجمر أو العصا أسلوب العسكريين في التعامل مع أهل البلاد ، فقد كان التمر أو الجزرة هو أسلوب المبشرين . وقد استغل الفرنسيون ما آلت إليه أحوال الجماهير في عهدهم من فقر وجهل ومرض ليلوحوا لهم بكسرة الخبز التي تشبع من جوع أو جرعة الدواء التي ترد غائلة الهلاك أو المأوى الذي يقيهم التشرد نظير تخليهم عن عقيدتهم والدخول في دين من اغتصبوا ديارهم ، وخيروهم بين الافناء أو الاحياء على طريقتهم بسوقهم كالأنعام في دربهم ، حتى لا يفكروا في وطن ولا عقيدة ولا قومية . فالسلطة العسكرية تجتاح البلاد غزوا ، وتصادر الأراضي وتضع السيف على رقبة من يرفض أو يتمرد على القيد ، و« المعمر » الأجنبي الذي تسلمه تلك السلطة الأرض الخصبة ، ينفرد بها ويسخر من عليها حتى لا يجد أبناء الشعب في الصحاري القاحلة غير الجراد يتصارعون عليه ليقتاتوا به هم وأطفالهم ، ثم يأتي المبشر في رداء الملاك الرحيم أو الفارس المنقذ للابتزاز والتضليل ، فلا يجد البائس سبيلا الى الاختيار بعد أن تسد أمامه الأبواب جميعا .

مساومات وضغوط وحصار طالما أجاد أعداء الشعوب استعمالها عبر كل مراحل التاريخ في الشمال والجنوب وفي المشرق والمغرب . وحملات من التمويه والتشويه تجرد الأسماء من مسمياتها ، وتلبس الباطل ثوب الحق . ولا تختلف الدولة الفرنسية في اعتمادها على التبشير في الجزائر لتحقيق أهدافها عن غيرها

من الدول الأوروبية الاستعمارية . فهي تنظر إلى الشعوب التي تقطن خارج أوروبا على أنها شعوب أقل منها مرتبة ، يمكن استباحة أراضيها والاستيلاء عليها غصبا . وما زالت البواعث الحقيقية للاستعمار القديم القائم على العدوان العسكري والاستعمار الاقتصادي والثقافي الجديد ، هي استغلال ثروات الشعوب ونهبها والسيطرة على موارد المواد الأولية ، والحصول على الأيدي العاملة الرخيصة . وما زالت الدول الاستعمارية تحاول أن تخفي مصالحها الاستغلالية بدعوى المبادىء والأهداف الانسانية . وقد زعمت - بعد اكتشاف أمريكا - مسؤوليتها عن نشر المسيحية بين سكان العالم الحديث ، وادعت - عندما غزت أراضي إفريقيا وآسيا - مسؤوليتها عن نشر المدنية وحكم العدل والقانون لدى الشعوب المتخلفة .

وقام الكتاب الاستعماريون بمحاولة دعم إجراءات احتلال الأراضي والسيطرة على شعوبها ، بنشر فلسفات لا أساس لها من الواقع ولا ظل لها من الحقيقة . ولعل من أخطر هذه الفلسفات - كما يقول الدكتور مفيد محمود شهاب - ما أسماه البعض «رسالة الرجل الأبيض » ، ومقتضاها أن الانسان الأبيض مسؤول - بتكليف سماوي وبحكم ما يتمتع به من حضارة وذكاء - عن نقل المدنية الى الانسان الأسود والنهوض به ، بالقضاء على أسباب تخلفه . فهو يذهب الى افريقيا وآسيا من أجل استصلاحها وتعميرها ، لخير سكانها . وهو بذلك يقوم بواجب إنساني يتحمل أعباءه في سبيل الرقي بالجنس الأسود الأدنى حضارة وذكاء !! ولم تكن تلك الفلسفة أو غيرها في واقع الأمر ، إلا قناعا يحاول الاستعمار أن يستر وراءه مصالحه الذاتية السياسية والاقتصادية والتجارية ، وتاريخ الاستعمار في كل زمان ومكان محاولات مستمرة لاستغلال ثروات الشعوب والابقاء على تخلفها في مختلف نواحي الحياة . ولم تكن بعض مظاهر المدنية الحديثة إلا من أجل مصلحة رعايا الدول الاستعمارية وبقدر حاجتهم وحدهم إليها . وقد صنع هؤلاء الأوروبيون القانون الدولي ضمن إنتاجهم الحضاري ، ومن ثم كان يعتبر الاستعمار عملا مشروعا ، ولم يتدخل بأدنى حماية لسكان المستعمرات أو يسمح لهم بتقرير مصيرهم وممارسة سائر حقوقهم وحرياتهم .

نظرة المستعمرين العنصريين إلى الشعوب المستضعفة :

في ضوء ما تقدم من سمات الاستعمار فكرا ومنهجا نظر الفرنسيون إلى الشعب الجزائري كغيره من شعوب العالم الثالث بمنظار الاستعلاء والاستغلال والعنصرية ، واعتبروا دورهم في العالم كمنافس في مباراة عنيفة ضد « قوى الشر » التي

لا بد أن ينتصر عليها مهما كانت الوسيلة !! فلم يترددوا في أن يفنوا الجزائريين معنويا بمسخ دينهم وثقافتهم من أجل أن ينقذوهم ـ فيما زعموا ـ من أنفسهم ، طالما هم عاجزين عن إفنائهم جسديا ، من أجل أن تنتصر أوروبا المسيحية في النهاية . فالمستعمر هو «مكيافيللي» العصر الحديث ، الذي تبرر له الغاية استخدام كل وسائل التآمر والتجويع والفتك والدمار ، ويبرر له ضميره إعدام شعب مقهور من عالم المستضعفين ، جريمته أنه يطالب بحقه في الحرية والعيش الكريم ، على حين يحرم قانون هذا المستعمر قتل شخص واحد من أبناء بلده :

قتل امرىء في غابة
جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كامل
مسألة فيها نظر !!

ومن أخطر السياسات التي عمد إليها المستعمر الأجنبي في الجزائر للقضاء على روح شعبها وحوافزه إلى النضال ، سياسة التنصير أو التمسيح تحت ستار التحضير والتمدين . وقد ابتدعوا لها أخبث الحيل ، فكان ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب كما يقول الباحث الحسني ، إذ كانوا يذيعون أنهم يهدفون إلى غرض إنساني وهو إنقاذ الأطفال المساكين من المجاعات والتشرد بايوائهم في ملاجىء أعدوها لذلك ، وتعليمهم فيها على أيدي رهبان مأجورين مدربين لتنفيذ سياسة سادتهم المستعمرين في إفريقيا . ولكن الحقيقة أنهم كانوا يريدون قطع الأواصر الوثيقة بسلخ الجيل الوليد عن جذوره وفصله عن محيطه الطبيعي ، وتغريبه في بيئة أجنبية وبين قوم لا يضمرون له ولأهله ووطنه الا العداء ، حتى ينشأ على أيديهم مقطوع الصلة بشعبه وتراثه ، منبتا عن تاريخه ودينه ولغته ، فيضمنوا بعد ذلك ولاءه لهم وتسبيحه بحمدهم وتنكره لأهله بل خيانته لهم أحيانا .

ويستطرد الباحث قائلا : إن الفرنسيين شرعوا في إنشاء هذه الملاجيء منذ وطئت أقدامهم أرض الجزائر . وكثيرا ما كانت القيادة العسكرية تعهد الى قواتها ـ بالاضافة الى مهامها القمعية ـ جمع الأطفال الجزائريين وإيداعهم تلك الملاجىء . وقد سلم الجنرال بيجو نفسه مجموعة منهم إلى الراهب «بريمو» وهو يقول له : « حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين . فاذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار » . وفي هذه المقولة دلالة على وعي العدو بحقيقة الجهاد في الاسلام ، وسعيه لذلك إلى القضاء على العلة ليبطل المعلول . كما فتح الرهبان مراقد في المدن الهامة بأسعار رمزية لاغراء التلاميذ الفقراء القادمين للدراسة من القرى والمدن الصغرى بالالتجاء إليها . وكان أولئك الرهبان : « يشترطون على من يسكن فيها الذهاب معهم صباح كل أحد إلى الكنيسة للعبادة وقراءة الأناجيل ، وإلا رفعوا الكراء أو اخرجوا التلاميذ

من المحل » .

ولا يجهل أحد من الجزائريين اليوم اسم ذلك الكاهن الذي كثر نشاطه وتعددت أساليبه في هذا الميدان ، وكان رائدا لحركة التبشير في الجزائر ، حتى أطلق الفرنسيون اسمه على حي كبير بالعاصمة اعترافا بدوره المخرب هذا ، ألا وهو «الكاردينال لافيجيري » . ولقد عهدت إليه سلطات الاحتلال القيام بهذه المهمة ، ودعمته بالأموال وغيرها من الوسائل ، لرد أكبر عدد من الجزائريين ولا سيما الصغار عن دينهم كي يتبعوا ملة الغازي المستعمر وهكذا عمت الجزائر ملاجىء الأطفال المعدة للتبشير بعد تعيينه أسقفا سنة ١٨٦٧ . وقد رافق قدومه مجاعة كبيرة فاستغلها أبشع استغلال لجلب أكبر عدد من الأطفال الجزائريين إلى هذه الملاجىء . «فكان يطوف في الأنحاء التي فتكت بها المجاعة والأمراض ، والصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله » . « وكأن من وصايا المسيح عنده أن لا يطعم البطن إلا إذا أخذ القلب ، وأن لا يكسو الظهر إلا بالتجريد من الدين ، ولا ينشر تعاليم المسيح إلا باستغلال أزمات الضعفاء والبائسين » .

قرى فلاحية ومستشفيات للتبشير :

ومن الوسائل التي اتبعها المستعمرون الحاقدون المضللون انشاء قرى زراعية ذات طابع نصراني ، يستخدمون فيها الجزائريين لفلاحة الأرض ، ويسكنونهم بهذه المزارع الكبيرة ليكونوا تحت تأثير الرهبان المشرفين عليها ، والذين يعملون على تنصيرهم بعد أن يسقط هؤلاء الضعفاء في شراكهم ، ويصبحوا طوع أمرهم ، ليكسبوا عيشهم ولا يموتوا جوعا . وكانت كل مزرعة تضم كنيسة ومدرسة ومستوصفا . « فتنفتح بذلك أرواح المسلمين ، ويخضعون لامبراطورية الصليب القوي » !! وقد قال قائل منهم : إن القوة العسكرية لن تخضع الجزائريين ، وان تنصيرهم هو الحل الأمثل .

ومن العجب العجاب ما كشف عنه المؤرخون من وضع السلطات الاستعمارية مشروعا سنة ١٨٤٥ لتهجير المسيحيين الموارنة من لبنان إلى الجزائر ليستوطنوها ، كأنما لم يكفهم المعمرون المغامرون الذين استوفدتهم من فرنسا . وكان الباعث على هذا المشروع أن هؤلاء المارونيين سوف يؤثرون على سكان الجزائر المسلمين حينما يسكنون وسطهم ، أو كما قال رئيس السلطة الفرنسية في الجزائر حينئذ « إنهم سيكونون مدافعين أقوياء عن عملنا وقت الحرب ، ومبشرين بالمبادىء المسيحية وقت السلم » . بيد أن هذا المشروع الخطير قد باء بالفشل ، وكان من بين أسباب ذلك معارضة الدولة العثمانية التي كانت تحكم بلاد الشام .

وإلى جانب الكنائس والملاجىء

والقرى الفلاحية التي أنشئت بهدف التنصير ، أقيمت المستشفيات والمستوصفات لهذا الغرض أيضا ، ووضعت تحت إدارة الرهبان المبشرين . وكانوا يقيمون صلواتهم في هذه المراكز أمام المرضى المسلمين ويرغمونهم على المشاركة فيها ، ويوزعون عليهم قسرا أو خداعا الرموز والصور المسيحية . كما كانت معظم المستشفيات الكبرى في الجزائر تحتوي على كنائس .

وهكذا استغل الطب للتنصير ، كما استغل غيره من الوسائل التي شرعت للتخفيف من آلام الانسان أو لاشباع حاجاته الروحية والمادية .

ومن ذلك استغلال حق الفرد في التعلم الذي نص عليه الميثاق العالمي لحقوق الانسان ، فقد عمل الاستعمار الفرنسي على منع انشاء المدارس العربية وإغلاق ما كان موجودا منها أو فرض شتى القيود عليه ، وعلى تأسيس مدارس فرنسية تحت إشراف الادارة الاستعمارية أو رهبانها المبشرين ، كي ينشأ ناشيء الفتيان الجزائريين فيها متشبعين بمبادىء الحركة التنصيرية وتعاليمها . كما أقام المستعمرون جمعيات دينية اشتهرت منها جمعية الآباء البيض وقد تفرعت منها جمعية الاخوة البيض التي زودت بالأسلحة على غرار الصليبيين القدامى . وكانت كلتاهما مكمنا للتآمر على الدين الاسلامي والتخطيط للتبشير . وصدر قانون سنة ١٨٤٩ يحث الرهبان على : « عدم تناسي أداء رسالتهم الأصلية لدى الأهالي ، أي تنصيرهم ، عندما تحين الفرصة . ولذا يجب عليهم تعلم اللغة العربية والقرآن ، ودراسة عادات الأهالي وتقاليدهم حتى يتمكنوا من إطلاعهم على الجانب الخاطىء وغير الأخلاقي في عقيدتهم » !!

تزييف تاريخ المغرب الاسلامي :

وإلى جانب المراكز التبشيرية ومدارسها ومؤسساتها الأخرى ، استغل المستعمرون وسائل الاعلام والثقافة في التنصير . فنشروا وأذاعوا مفترياتهم وأباطيلهم ، وتخصص منهم كثيرون في تأليف الكتب التي تشوه العقيدة الاسلامية ، لكي يصلوا الى أهدافهم واختلقوا تاريخا محرفا زائفا لايهام الشعب ان الاسلام طارىء على هذه الأرض ، وأن أصلها لاتيني نصراني ، وأن الجزائر مسيحية رومانية فرنسية ، فالجزائريون هم أحفاد الرومان لا العرب ، ودخول الاسلام هذه المنطقة وتعريبها لا يعدو أن يكون طفرة شاذة في مجرى التاريخ ، مثلما يعتبر البحر الأبيض الفاصل بين الجزائر وفرنسا طفرة جيولوجية فصلت الجزء عن الكل حتى جاءت ضربة الداي « حاكم الجزائر من قبل العثمانيين في أوائل القرن الماضي » للقنصل الفرنسي بالمروحة ، إيذانا بعودة فرنسا إلى الجزائر (عن طريق الغزو) والتئام الشمل الذي كان ممزقا !! لقد أطلق الأوروبيون الغزاة تلك الكذبة التاريخية ثم صدقوها ـ وها هو ذا

أحدهم وهو الفرنسي «لوي برتراند» يقول : « فنحن عندما دخلنا إلى أفريقيا لم نعمل شيئا سوى استعادة ولاية فقدناها منذ عصور الرومان . ونحن كورثة لروما نطالب بحقوقنا التي وجدت حتى قبل دخول الاسلام هذه البلاد والأثر الرمزي للشمال الافريقي ليس الجامع وانما قوس النصر » . ثم يتساءل - ويا للافك - « أيحط من قدر الجزائري أو التونسي المسلم أن نذكره بأصله الروماني ؟!! إن كل ما يهمنا في الجزائر هو اعادة خلق شعب الجزائر الروماني وأن نعيد مسيرة الزمن من جديد » !!

لقد كانت الأجهزة التبشيرية تحارب الدين الاسلامي بشتى الوسائل ، وتصفه بالهمجية ، وتنعت أهله بالمتوحشين . ولما كان إبطاله بقرار من وزير الداخلية متعذرا ، فان سلطات الغزو وجدت الطريقة لمحاربته عن طريق إظهاره في هيئة كاريكاتورية عبر ما كانت تشجع على احداثه من بدع وفرق وطرق مختلفة متنافرة . ويؤكد الدكتور عمار حاتم أن التفتيت للدين الواحد الى طوائف متشاحنة متضاربة من البدعية والطرقية وما شابهها يؤدي للاستعمار الدور نفسه الذي تؤديه التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة على أساس مذهبي ، بل ان تلك الطرق كانت تقدم للاستعمار من الخدمات ما يتجاوز بكثير ما يمكن أن تقدمه جيوش بكاملها ، ولا سيما أن أصحاب هذه الطرق كانوا يؤدون بالنسبة للبسطاء من الناس أدوار المحامين والأطباء والقضاة ، فهم يفصلون في النزاعات ، ويعالجون الأمراض بالتعاويذ وما شاكلها ، ويحولون دون الاحتكاك بمثقفي المدينة ، فيضربون سورا إضافيا دون التفاهم القوي ، كما أنهم ينزلون عند اللزوم لعنة الهرطقة والخروج عن الدين بمن يجيء بالآراء الاصلاحية والثورية الداعية الى التغيير ، وكان ذلك من أهم ما يرمي اليه الاستعمار ، ويمكنه بواسطة أولئك المشعوذين من امتصاص النقمة الشعبية عليه أو تسريبها في مسارب الفتن الطرقية والقبلية والمشاحنات الداخلية ، وهو ما يؤدي في مجمله الى وقف تطور الروح القومي الجماعي الموحد الذي يؤدي تصاعده الى الثورة على الأعداء .

كما أنشأ الفرنسيون مراكز للدراسات العربية والآسيوية والافريقية لتعزيز المؤسسات التبشيرية . وكانت مهمتها . وما زالت الى الآن - توجيه هذه الدراسات وفقا لأهواء المستعمر وخططه ومصالحه ، ومنها يتم تسريب مختلف النظريات الثقافية التي تفسر كل شيء بالفوقية الاستعمارية والتركيب الأيديولوجي الخاص لدى رجال الاستعمار ، في حين يفسر التخلف الثقافي لأهل البلاد بالتخلف البيولوجي الذي لا سبيل إلى الخلاص منه . وبهذا يتم التمهيد لايصال هؤلاء الى مركب النقص والشعور بالدونية والقبول بالوضع القائم بل وبمنة الاستعمار . ولكن هيهات أن يفلح العنصريون المضللون !!



« إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ». الأحزاب/ ٣٥

وبعد ... فقد انتقل الاسلام بالمرأة انتقالة كبيرة وارتقى بها ارتقاء عظيما ، فرفعها من الحضيض الى القمة ووضع كل ما كانت تتمناه - ولا تدركه- في اطار شريعة كاملة وحدود ثابتة واضحة في دستوره العظيم - القرآن الكريم - فساوى بين كرامتها وكرامة الرجل ، وحدد لها طريقها القويم - . وعنى بها طفلة فحفظ لها حق الحياة وندد بكل ما كانت تلقاه من ذل ومهانة قبل أن يبعث الله رسوله الأمين بالاسلام الحنيف .. « **وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت** » التكوير/ ٨ ، ٩ .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ثلاث بنات او ثلاث أخوات ، أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن ،

واتقى الله فيهن فله الجنة » رواه الترمذي وأبو داود .
وعنى بها فتاة فجعل لها كلمتها المسموعة ورأيها الذي لا بد أن يحترم .. وكفل لها الحرية في اختيار شريك حياتها ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس رضى الله عنهما : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها » رواه الستة إلا البخاري .
وعنى بها زوجة وأما .. « **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** » النساء/ ٤ .. وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » رواه البخاري ومسلم .
وقال تعالى : « **ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها** » الأحقاف/ ١٥ .
- وكان من أخر كلام الرسول قبل انتقاله الى الرفيق الاعلى : « الله .. الله في النساء » رواه مسلم .
- وكان الاسلام كريما - غاية الكرم - مع المرأة .. فوضع مجموعة من القوانين والتشريعات التي حققت للمرأة المساواة الفعلية والمتكاملة بينها وبين الرجل وبلغت بها مرتبة سامية ، لم تبلغها عن طريق أية ديانة أو حضارة وضعية سابقة أو لاحقة للاسلام .
- وسوف نعرض - في شيء من الايجاز - لهذه القوانين والتشريعات .. بعد الاستعانة بحول الله وقوته .

أولا : الحقوق الانسانية

ساوى الاسلام بين المرأة والرجل في الحقوق الانسانية الأساسية ، وهي حق الحياة المبني على المشاركة المتساوية والفعلية بينهما في الوجود مما يترتب على ذلك تمتع المرأة بكافة الحقوق التي يتمتع بها الرجل ، مثل حق العمل والتعليم ، وحق التعبير وحرية الرأي ، وحق الثواب والعقاب ، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى : « **يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** » النساء/ ١ .
من الآية الكريمة يتبين لنا ان الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة ..هذه النفس الواحدة كانت أصلا لكل البشر ، ومعنى هذا الأصل الواحد أي النفس الواحدة أن قدر الانسانية واحد في كل من المرأة والرجل ، وبذلك تحققت المساواة الانسانية بينهما في الحقوق والواجبات في حدود ما يسمح به تكوين كل منهما .

ثانيا : الحقوق الاجتماعية

وكما ساوى الاسلام بين المرأة والرجل في الحقوق الانسانية ، ساوى بينهما

كذلك في الحقوق الاجتماعية فقد سمح الاسلام للمرأة أن تختار الدين الذي تفضله « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » الكهف/ ٢٩ .
ففي الآية لم يخص الله الرجل بالاختيار والمشيئة في الايمان او الكفر ، بل ترك للمرأة أيضا حرية الاختيار وخولها نفس الحق الذي خوله الرجل . ومنحها الله أيضا حق مبايعة الرسول وبذلك ساواها مع الرجل في الالتزام بما تقول وحملها المسئولية كاملة امام الرسول ، وبذلك أيضا منحها حق الاعلان عن شخصيتها المستقلة وعن إرادتها الحرة في كل ما تقول أو تفعل : « **يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم** » الممتحنة/ ١٢ .
كذلك منحها الله حق الهجرة ومفارقة الزوج الكافر إذا أصر على كفره : « **يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن** » الممتحنة/ ١٠

كذلك ساوى الاسلام بين المرأة والرجل في حق الدعوة الى الله بما يندرج تحت هذا الحق من بنود « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** » التوبة/ ٧١
فهنا تدلنا الآية الكريمة على ان المؤمنين والمؤمنات أولياء متساوون وإخوة متناصرون متقاربون في حق عبادة الله وفي الأهلية للدعوة اليه وردع الخارجين عليه بكل ما يتسع له مجال الدعوة من حض وزجر ، وترغيب وترهيب مادامت شروط الدعوة الى الله متوفرة في الداعية سواء أكان ذكرا أم أنثى .

ثالثا : حق المفاضلة

لا فرق بين المرأة والرجل .. ولا فضل لذكر على أنثى أو لأنثى على ذكر إلا بالتقوى هكذا قضى الله .
فالجنة يدخلها الرجل بعمله الصالح وكذلك تدخلها المرأة بعملها الصالح .. والنار سيحشر فيها الرجل بعمله الطالح .. وكذلك تحشر فيها المرأة للسبب نفسه ، فالجنة أو النار ليست حكرا على أحد النوعين دون الآخر .. وهذا المعيار الدقيق الثابت .. معيار التقوى .. الذي يجمع بين المقدرة على تجنب الخطايا واجتناب الأخطاء والقدرة على العمل الصالح المثمر .. هذا المعيار هو السبيل الوحيد الى صلاح المجتمع وأمنه وازدهاره .
« **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » الحجرات/ ١٣

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » النحل/ ٩٧ .

« **أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** » آل عمران/ ١٩٥ .

وعندما خلق الله آدم وزوجه وأسكنهما الجنة قال : « **ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » الأعراف/ ١٩ . .فآدم وحواء (أي الرجل والمرأة) يثاب أحدهما أو كلاهما إذا أحسن ويعاقب احدهما أو كلاهما إذا أساء .. لا فرق بينهما ولا مفاضلة الا بنوعية العمل الذي يأتيه كل منهما ..

وتبين السيدة عائشة رضى الله عنها منزلة المرأة فتقول « جاء تني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت الى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله قد أوجب لها بهما الجنة أو أعتقها بهما من النار » رواه مسلم .

رابعا : حق الأسرة

منح الاسلام المرأة حق المشاركة في بناء الأسرة تماما كالرجل .. فالمرأة لها الحرية المطلقة في الزواج من الزوج المناسب لها بكرا كانت أم ثيبا على أساس حقها في التكافؤ مع الرجل فلا تتزوج إلا بمن يكون أهلا لها في حدود الشرع ، ويتكافأ معها في الأخلاق والدين والطباع والمزايا النفسية وبذلك تتجنب المرأة الزواج من رجل تنقصه حسن المعاشرة ومزايا النجابة في الذرية .. وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن .. قالوا يا رسول الله وكيف اذنها ؟ قال أن تسكت » رواه البخاري .

ويروى عن خنساء بنت خذام الانصارية :

« ان اباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها » رواه البخاري .

والمرأة المؤمنة بهذه الحقوق التي كفلها لها الاسلام بالمساواة مع الرجل في اختيار الزوج ، إنما يتاح لها أن تربط الزواج الشرعي بالغاية السليمة التي من أجلها شرع الزواج .. وهو مالم يتح للمرأة في غير الاسلام ـ يقول تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة**

ورحمة » الروم / ٢١ .
يحدد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الغايات التي من أجلها شرع الزواج : فالزواج سكن بمعنى انه سلام نفسى وبدني ، وذلك بما يسبغه الزوج على زوجته من سعادة ، فالمرأة ترى في سكينة الرجل اليها دليل قوتها المكنونة .. والرجل يرى في هذه السكينة دليل قوته الظاهرة .
والزواج مودة وهي الأواصر التي تربط الأفراد بعضهم ببعض من قربى المصاهرة والنسب بين جميع الأسر والأصدقاء الذين تجمعهم صلة بعيدة او قريبة بهذين الزوجين ، والزواج رحمة وهي النسل وقد اشتق القرآن معنى الرحمة والتراحم من مصدر التكوين وهو الرحم .. فمن الرحم تأتي الذرية التي هي لبنات تكوين المجتمعات .
والاسلام بهذه المساواة بين المرأة والرجل في حق الأسرة انما يقوى نسيج المجتمع ويدعم بناءه .

خامسا : الحدود

ساوى الاسلام بين المرأة والرجل في العقاب واقامة الحدود عليهما تبعا للجرائم والذنوب التي يرتكبها كل منهما من زنا .. وسرقة .. وقتل ... وشرب للخمر الى غير ذلك من الجرائم والذنوب ..
ففي جريمة الزنا يقول تعالى : « **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** » النور/ ٢ .وفي هذه الآية نلاحظ أن المرأة (الزانية) مقدمة على الرجل (الزاني) لأن جريمة الزنا لا تقع الا بموافقة المرأة اولا - (اللهم الا اذا كانت قاصرا أو مغتصبة) وبذلك تكون هي الطرف الاول في هذه الجريمة النكراء .. والجلد هو العقاب الجسدي الذي يقمع الحواس ويردعها .. وقد امر الاسلام أن يكون العقاب امام المؤمنين وعلى مشهد منهم .. بما يصيب رغبة العودة الى الزنا بالعجز التام والشلل .. وهناك نوع آخر من العقاب هو العقاب النفسي الذي يحول دون تسرب هذا المرض الخطير الى الأصحاء وهذا العقاب النفسي هو أن الزاني لا يستطيع الزواج من الحرة الشريفة ــ وكذلك الزانية لا تستطيع الزواج من الحر الشريف ... الا إذا تابا .
« **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين** » النور/ ٣
وهنا اقترن الزنا بالكفر .. مما يوضح شناعة هذه الجريمة التي تقترب شناعتها من الكفر .. وتقرر تحصين الأصحاء المؤمنين ضد التزاوج من المصابين بهذا الوباء الخبيث حتى لا تنتج ذرية تكون فيها خصائص هؤلاء المرضى الذين تردى بهم العيب الخلقي والنفسي الى إيذاء المجتمع بهذه الوصمة التي تأباها الحرة ويتنزه عنها الحر .

وفي السرقة يقول تعالى : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » المائدة/ ٣٨ .. مساواة مطلقة وجزاء واحد .. مادامت الجريمة واحدة .. كل يجازى على ما يقترف لا فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين غني وفقير .. ليس هناك امتياز لأحد ولا استثناءات في حق من حقوق الله .. وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخاري ومسلم .
فهذا محمد النبي يعلنها في صدق ووضوح أن ابنته إذا أخطأت فلا بد أن تعاقب مثل غيرها
أهناك بعد ذلك مساواة ؟!

سادسا : حق الجهاد

ومن اعظم الحقوق التي منحها الاسلام للمرأة .. حق الجهاد في سبيل الله ونيل الشهادة .. عن الربيع بنت معوذ قالت : « كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة » رواه البخاري .
وعن أم عطية الأنصارية قالت : « غزوت مع الرسول سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى واقوم على المرضى » رواه مسلم .
وعن أنس بن مالك قال : « كان رسول الله يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه اذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى » رواه مسلم .
وقد حدث في غزوة أحد أن امرأة تدعى نسيبة بنت كعب المازنية كانت تمر بين صفوف المسلمين تحمل اليهم الماء . فلما اشتد وطيس المعركة حملت السيف وحاربت حتى أصيبت .
وفي غزوة الخندق حدث ان كانت صفية بنت عبد المطلب في حصن حسان بن ثابت .. وكان فيه حسان .. ولمحت يهوديا يحوم حول الحصن فقالت لحسان إن هذا اليهودي يطوف بالحصن كما ترى .. وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا مَن وراءنا من اليهود ، ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا ، وغادرت صفية الحصن وأخذت عمودا فضربت به اليهودي حتى قتلته .
هذه هي المرأة المسلمة وهكذا نظر اليها الاسلام !

سابعا : حق الميراث

قد يعن للبعض خاطر خبيث يقول إن الاسلام - ربما - ساوى بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق والواجبات الا هذا الحق ! وذلك لأن الاسلام قد حدد للمرأة - في الغالب - نصف ما للرجل من ميراث أو بمعني آخر ان للذكر مثل حظ الأنثيين -
قال تعالى : « **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا** » النساء/ ٧ .

وقال : « **للذكر مثل حظ الأنثيين** » النساء / ١١ .
ذلك شرع الله الذي اعتبره البعض إجحافا بالمرأة وسلبا لحق من حقوقها واتخذوا من ذلك في وقاحة ـ سبيلا الى التعريض بالاسلام ، ونسوا أو تناسوا في زحمة انشغالهم بالطعن في الاسلام .. الحكمة التي من أجلها لم يسوِّ الاسلام بين الرجل والمرأة في حق الميراث .. فقد اعفى الاسلام المرأة من جميع الأعباء الاقتصادية ووضعها على عاتق الرجل وحده ، فسواء أكانت المرأة متزوجة أم غير متزوجة لا تكلف بأي عبء ، اقتصادي فقبل الزواج يتكلف ولي الأمر او الأقارب بالانفاق عليها،وعليهم ان يكفلوا لها من أسباب الرزق ما يحميها من إراقة ماء وجهها ويعفيها من مشقة الكدح من اجل لقمة العيش ، أما بعد الزواج فنفقتها على زوجها ففي مرحلة الاعداد للزواج يكلف الرجل بدفع مقدم الصداق وهو حق خالص للزوجة .. لها حرية التصرف فيه كيفما تشاء .. كما يقوم الزوج باعداد منزل الزوجية دون ان تتكلف الزوجة أي جهد في ذلك وفي مرحلة قيام الحياة الزوجية يقوم الرجل بالانفاق على زوجته وتعفى المرأة من جميع الأعباء المعيشية وبرغم ذلك فقد احتفظ الاسلام للمراة بكافة الحقوق المالية والمدنية كاملة .. فللمرأة المتزوجة ثروتها كاملة وشخصيتها المستقلة ، ففي هذه الناحية تنعم المرأة بجميع حقوقها بينما يتحمل الرجل العبء كله .

واذا لم تستمر الحياة الزوجية وانفصل الزوجان بالطلاق .. كان العبء أيضا على عاتق الرجل وحده فعليه أن يدفع مؤخر الصداق : « **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين** » البقرة/ ٢٤١ .. وعليه أيضا نفقة زوجته في أثناء العدة ، ونفقة الأولاد وأجور حضانتهم ورضاعتهم : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » البقرة/ ٢٣٣ .

هكذا ارتقى الاسلام بالمرأة ورفع شأنها وصان كرامتها .. ومنحها كل الحقوق التي منحها الرجل .

واذا كانت هذه هي نظرة الاسلام للمرأة .. فما هي ياترى نظرة الحضارات غير الاسلامية لها ؟ لكي نجيب على سؤالنا هذا سنرجع الى الوراء وننظر حال المرأة قبل الاسلام .. ثم حالها في المجتمعات المعاصرة :

● فالمجتمع العربي قبل ظهور الاسلام كان يذيق المرأة ألوانا من الهوان وصنوفا من الذل .. كان الرجل يعتبر إنجابه للأنثى عارا .. فتضيق به الدنيا ويداري نفسه من قومه خجلا .. « **وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الاساء ما يحكمون** » النحل/ ٥٨ ، ٥٩ .

كانت المرأة في نظر الرجل عارا يجب دفنه ومن هنا نشأت قضية الوأد في العصر الجاهلي وكان الرجل يمنع زوج أبيه من الزواج حتى تترك له كل ما تملك ، وكان المطلق يمنع مطلقته من الزواج بغيره كي يسلبها ما معها من مال ومتاع ، وكان

المبغض لزوجته يذرها كالمعلقة فلا هي متزوجة ولا هي مطلقة ..
كانت المرأة ضائعة .. تائهة لا قيمة لها ولا كيانا !

● وفي المجتمع الهندي القديم لاقت المرأة من الهوان الاجتماعي والانساني صنوفا لا تعد ولا تحصى ووصفت بأنها دنس وشر وفي هذا يقول مانو واضع القانون الالهي والخالق الخرافي إنه : « عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش والمقاعد والزينة والشهوات الدنسة والغضب والتجرد من الشرف وسوء السلوك فالنساء دنسات كالباطل نفسه وهذه قاعدة ثابتة ».

ويقول كذلك : « ان الزوجة الوفية ينبغي لها ان تخدم زوجها الذي هو في الوقت ذاته سيدها كما لو كان إلها .. وألا تأتي أي قول او عمل يؤلمه ».

وكان يحرم على المرأة أن تعيش بعد موت زوجها بل يجب ان تموت يوم موته وتحرق معه .

● وفي المجتمع الاغريقي (اليوناني القديم) كانت المرأة في الدرك الأسفل من الابتذال والخسة وقلة الشأن والهوان — وفي هذا يقول : ول ديورانت في كتابه « حياة اليونان » إن الكثيرين من مفكري اليونان في عصرهم الذهبي كانوا ينادون بأن يحبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها .

ويقول ديموستين خطيب الاغريق العظيم محددا وظائف المرأة في مجتمعه « إننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية ، ونتخذ الزوجات ليلدن الأبناء الشرعيين » ويقول سقراط فيلسوفهم الأول : « إن وجود المرأة هو أكبر مصدر للتأزم والانهيار في العالم ، وإن المرأة تشبه شجرة مسمومة ظاهرها جميل ، ولكن عندما تأكل منها الطيور تموت في الحال ».

● وفي مجتمعات اليهود ظلمت المرأة ظلما بائنا بحرمانها من الميراث ، وببيع البنات في أسواق الرقيق وبمعاملتها معاملة أقل من معاملة الحيوان ووصفها بأحط الأوصاف وأحقرها ، وتسخيرها في الأعمال الدنيئة .. وفي هذا يقول .. الحكيم اليهودي في « سفر الجامعة » الاصحاح السابع : « درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا ، ولأعرف الشر أنه جهالة والحماقة أنها جنون ، فوجدت أمر من الموت : المرأة .. التي هي شباك وقلبها شراك ، ويداها قيود .. الصالح امام الله ينجو منها ، أما الخاطىء فيؤخذ بها ».

● وفي مسيحية اوروبا لم تكن المرأة أحسن حظا من مثيلاتها في سائر المجتمعات .. فقد ظلت المرأة اما حبيسة الدير هروبا من الدعارة والمهانة والابتذال ، واما طليقة في الشوارع يلهو بها من يشاء .. وفي هذا يقول : مارتن لوثر « لقد خلق الله النساء إما زوجات وإما خليلات »!

ويصور بعضهم المرأة على أنها شيطان فيقول : « إن الشيطان مولع بالظهور في شكل أنثى »!! ويستنكر أكثرهم دخولها الجنة فيقول في استفهام إنكاري : « هل يحق للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل ؟! وهل تدخل المرأة الجنة وملكوت الآخرة ؟!! »

● وفي المجتمعات المعاصرة لا زالت المرأة تتقلب في مراحل الاهدار لكرامتها الانسانية ومكانتها الاجتماعية ففي أرجاء شاسعة من الهند الحديثة. لا زالت المرأة تحمل اطفالها على ظهرها وتتمرغ في المهانة والوحل بحثا عن لقمة العيش .. وفي الشعوب المتقدمة صناعيا والحاملة لواء الحضارة الحديثة لا تزال المرأة لعبة مبتذلة في أيدي الرجال .. لقد هجرت المرأة البيت الذي هو مكانها الطبيعي المقدس ، هجرت تربية الاولاد ورعاية الأجيال الى المواخير وعلب الليل .. لتمارس الحرية المزعومة التي ينادي بها الرجال !

وفي فيينا تقول الأنباء : « ان المرأة سائرة نحو حالة تصبح فيها جنسا ثالثا ، فلا هي بالذكر ولا هي بالأنثى ومظاهر هذه الحالة .. ظهور حالات عدم الحمل على كثير من النسوة دون سبب من أسباب العقم نتيجة لفقدان خصائص أنوثتها بسبب مشاركتها المطلقة للرجل في أعماله ».

وعار على البنت في المانيا أن تصبح بكرا ووسائل منع الحمل متوفرة في كل طريق

وفي أمريكا يسقط مليون حمل على الأقل كل عام ويقتل الآلاف من الأطفال فور ولادتهم . ويقول الفيلسوف الأمريكي ول ديورانت في كتابه « مناهج الفلسفة » عن حال المرأة في المجتمعات المعاصرة « لقد كان القانون الأخلاقي قديما يقيد الصلة الجنسية بالزواج لأن النكاح كان يؤدي الى الابوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، ولم يكن الوالد مسئولا عن ولده الا بطريق الزواج .. أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية والتناسل ، وخلقت موقفا لم يكن آباؤنا يتوقعونه لأن جميع العلاقات بين الرجال والنساء آخذة في التغير نتيجة هذا العامل ، ويجب على القانون الأخلاقي في المستقبل أن يدخل في حسابه هذه التسهيلات الجديدة التي جاءت بها الاختراعات لتحقيق الرغبات المتأصلة ، فحياة المدنية تفضي الى كل مثبط عن الزواج في الوقت الذي تقدم فيه الى الناس كل باعث على الصلة الجنسية وكل سبيل يسهل أداءها ..

والنمو الجنسي يتم مبكرا عما كان من قبل ، ويتأخر النمو الاقتصادي ، وتضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم ، وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعا للسخرية . ويختفي الحياء الذي كان يضفي على الجمال جمالا ، ويفاخر الرجال بتعداد خطاياهم وتطالب النساء بحق في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال ، ويصبح الاتصال قبل الزواج أمرا مألوفا ، وتختفي البغايا من الشوارع بمنافسة الهاويات .. لا برقابة البوليس !!! » هكذا أصبحت المرأة في مدنية الاظلام تتبعثر يمنة ويسرة ، وتتمرغ في الأوحال .. وتأكل بثديها وتتاجر بعرضها .. بينما المرأة المسلمة تلقى من التشريف والتكريم .. ما تحسد عليه في سائر المدنيات ..

هذا « **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور** .» لقمان/ ٢٢ .

وقفة تأمل

الخلاف السياسي

فهمي عبد العليم الإمام

● تكلمنا في زاويتنا تلك عن الخلاف المذهبي .. وقلنا إننا معه ما دام في دائرة الإثراء الفكري ومعالجة القضايا المعاصرة بأسلوب يتفق وروح الاسلام ، وما دام الخلاف في الفروع،والهدف هو صالح المسلمين بما لا يخرج عن حظيرة الدين فلا ضير في ذلك ، بل نأمل الخير كل الخير من ورائه . أما إذا امتد الخلاف المذهبي الى ما يفرق صفوف المسلمين ، ويوقع الفتنة والشر بينهم ، فذاك ما نرفضه .

● وفي عددنا هذا ـ نقول : إذا جاز الخلاف المذهبي في الحدود التي أشرنا إليها ، فلا يجوز الخلاف السياسي بين المسلمين بأي حال من الأحوال .. فالخلاف المذهبي ـ في معظم حالاته ـ مثمر .. والخلاف السياسي دائما مدمر .. الخلاف المذهبي إثراء للفكر .. والخلاف السياسي ضياع للحكمة ..الخلاف المذهبي دليل فكر مستنير ، وعقلية راجحة ، والخلاف السياسي دليل نزاع مهلك ، وعقلية خاسرة .

● هذا وإن ديننا الاسلامي ..وهودين الانسانية الخالد ـ حث على الاتحاد وحذر من الفرقة قال تعالى :« **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ». وقال سبحانه : « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ».

● والحاكم في نظر الاسلام مأمور باتباع شرع الله ، وتنفيذ حكمه ، فليس له أن يشرِّع ، وليس له أن يستغل منصبه في التسلط على رقاب عباد الله ، وإلحاق الأذى بهم .. وإن ساس المسلمين بغير شرع الله ، ولم يقم بواجباته كحاكم مسلم كان للأمة ممثلة في أهل الحل والعقد أن تعزله ، والرسول صلى الله عليه وسلم يحذره بقوله : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة ».

● وإن أطاع الله ، وعمل على تحقيق ما ينفع المسلمين في دنياهم وآخرتهم .. كان له السمع والطاعة ، وحسن المثوبة عند الله والناس .. قال تعالى : « **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** » .وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « السمع والطاعة على المرء المسلم ، فيما أحب وكره ، مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ».

● ويقول لنا عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه : لقد دعانا النبي ـ صلى

الله عليه وسلم ـ فبايعناه .... بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ـ يعنى إيثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم ـ وألا ننازع الأمر أهله « إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ».

● وإذا ما تحققت العدالة بين الناس ، وقام المجتمع الاسلامي بواجباته .. كان الخروج عليه إفسادا في الأرض يقابل بالحزم والشدة والضرب على أيدي العابثين الخارجين على حكم الله المفارقين لجماعة المسلمين : قال تعالى : « **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**».

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق من الدين التارك الجماعة ».

● وإن نشأ خلاف بين طائفتين مسلمتين فالحل كما رسمه القرآن الكريم : « **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ».

● إن ما نعانيه اليوم من الفرقة ، والتباعد ، بله العداوة والتناحر والتقاتل ، إنما يرجع الى اتباعنا لمذاهب أرضية ، واختلافنا حول مفاهيم كلها باطلة ، وتركنا لدين الله .. ولن يخرجنا مما نحن فيه إلا أن نلجأ الى الله سبحانه فننصر دينه ، فيحقق لنا وعده .. « **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ».

● إننا نقول للذين وضع الله في أعناقهم أمانة قيادة هذه الأمة .. حذار .. حذار من الخلاف السياسي ـ فإنه والله ـ ليس له من نتاج إلا فناء المسلمين ، وذهاب شوكتهم ، وضياع هيبتهم ، وهوانهم على الناس ، واستئصالهم من تاريخ الوجود .. ومعاذ الله أن يحدث هذا ..

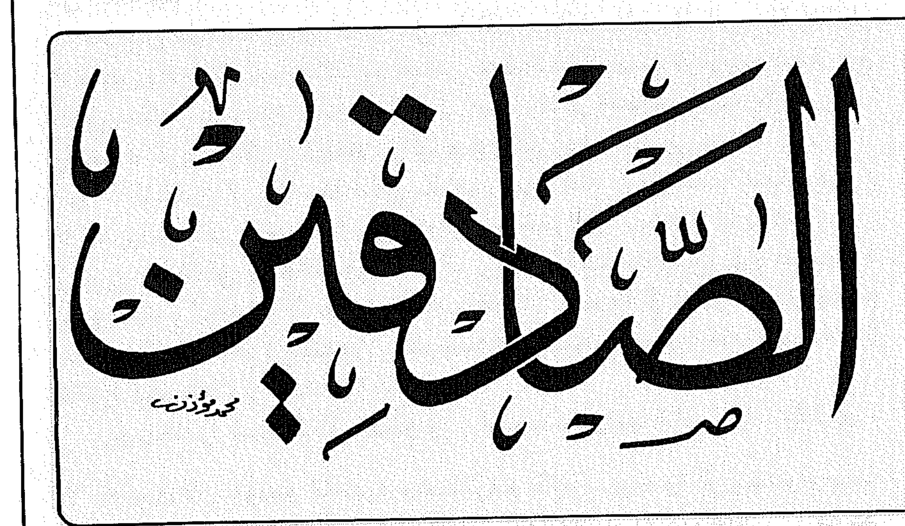
فان فالق الحب والنوى ، مخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت من الحى ، وفالق الإصباح ، وجاعل الليل سكنا ، والشمس والقمر حسبانا ، والذي أنشأ الجميع من نفس واحدة ، قادر على أن يستبدل بنا قوما آخرين ، يحبهم ويحبونه ، ينصرونه وينصرهم ، يكونون جنوده ، ويكون هو سبحانه معهم ... وساعتها لن ينقذنا من المصير المحتوم منقذ ... فهل نفيق . قبل فوات الأوان فنجعل العزائم عزما واحدا والقلوب المتباعدة المتنافرة قلبا واحدا ، والرايات كلها راية واحدة .. هي راية التوحيد ، والاسلام ؟ هذا ما نقف عنده متأملين ... وراجين أن ينقذنا الله مما نحن فيه .



وكونوا مع

علم المسلمون أن الروم جمعت جموعها . وانضمت اليهم لخم وجذام من نصارى العرب . الذين كانوا تحت إمرة الروم . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج لمواجهة هذه الجموع المحتشدة لحرب المسلمين . كانت الحرارة شديدة ، إذ كان الصيف قد حل وكان الناس في عسر من العيش شديد . ولذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلن عن الوجهة التي سيتوجهون اليها . وكان من عادته إذا أراد غزوة ورى بغيرها . ولكنه في هذه الغزوة رأى ببصيرته الثاقبة أن الأمر مختلف عما كان قبل . والحاجة ماسية للتأهب على درجة كافية فلا بد من معرفة جيش المسلمين الأرض التي سيطأونها ليعدوا لكل أمر عدته . ويعملوا لكل شيء بعد الشقة وشدة الحر والعسرة ـ ألف حساب لأن الرحلة ثقيلة على النفس وفيها أقصى مظاهر الابتلاء للمؤمنين . ليمحص الله القوم . وليظهر كل واحد على حقيقته .. المنافق والمخلّف والمعذر والمؤمن الصادق .

صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وحثّ الناس على الإنفاق لتجهيز جيش العسرة كما حث على الاستعداد للخروج جهادا في سبيل رد عدوان متوقع على المسلمين . سمع المسلمون ذلك ومنهم عثمان بن عفان رضي الله



للأستاذ / عاطف شحاته زهران

عنه فإذا به يقول « عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها » فلما حثّ النبي ثانية . قال مثل ذلك . فلما نزل مرقاة المنبر ثم حثّ قال عثمان : « عليّ مائة ثالثة بأحلاسها وأقتابها » . فأثنى عليه النبي ثم قال « ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا » وبعد حين جاء عثمان بألف دينار في ثوبه وألقاها في حجر النبي حتى جهز بها الجيش . ثم أخذ المسلمون يتبارون في ذلك . فمنهم من جاء بنصف ماله . ومنهم من جاء بكل ماله وترك لعياله الله ورسوله . لأنهم يعلمون أن الجهاد بالمال والأنفس . وعلى قدر المشقة في هذه الغزوة تزيد الحاجة الى المال . وهنا ظهر السابقون الى الايمان . فالوقت وقت برهان . ولكل مؤمن أن يعمل حسب قدرته . فمن ملك المال جاد به . ومن بخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني ونحن الفقراء . ومن ليس لديه مال جاد بنفسه . والجود بالنفس أعلى غاية الجود . إنهم يرجون رحمة ربهم ويجاهدون لنصرة دينهم . ويعلمون أن الله ينصر من ينصره ويصدق من يصدقه .

وَلِمَ لا يضحون بكل ما يملكون والله عز وجل أنبأهم في قرآن مجيد . وأعطاهم عهدا بأنه قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . ومن أوفى بعهده من الله . لقد كان الله ورسوله أحب اليهم مما

سواهما وكانوا يحرصون على الموت في سبيل الله حرص أعدائهم على الحياة . ولذا نصرهم الله وأعزهم لما عَلِمَ من صدقهم ومن إخلاص نياتهم في كل أعمالهم .

لم يكن كل الناس في الأمر على ما قلنا . والشدائد دائما وسيلة لإظهار المخلص وغير المخلص فانقسم الناس عدة أقسام حسب تجاوبهم للسفر مع النبي دفاعا عن دين الله . وقصّت آيات الذكر الحكيم قصّة كل فريق . وكشفت عن دخائل المنافقين والقاعدين غير أولي الضرر .

● .. المنافقون فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله .. وتواصوا فيما بينهم : لا تنفروا في الحر . ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف . وأولئك قال الله فيهم : (**فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنم أشد حرّا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يَكْسِبُون**) . ٨١ ـ ٨٢ التوبة .

إنهم خافوا شدة الحرّ . فَخُوفُوا بنار جهنم . وإنها أشد حرّا . ولكنهم لا يفقهون لأن عقولهم قاصرة وبصائرهم كليلة . ونسوا أو تناسوا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لنار الدنيا بأنها غير نار الآخرة فقال : (**ناركم** جزء من سبعين جزءا من نار جهنم . قيل : يا رسول الله ان كانت لكافية . قال : فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها) . رواه الشيخان .

● وغير المنافقين كانت هناك طائفة أصحاب أعذار . وهم صادقون حين اعتذروا للنبي عن حضور تبوك معه . لهم أعذار مالية أو مرضية أو لم يجدوا ما يحملهم للذهاب مع جيش العسرة ، ومنهم من جاء يطلب من النبي أن ييسر له ما يركب . فلم يجد النبي لهم ما يحملهم . ولما انصرفوا بكوا حزنا على فوات هذا الخير الجزيل . وفيهم قال الله تعالى : (**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزَناً ألا يجدوا ما ينفقون**) ٩١ و٩٢ التوبة .

ولقد برأهم الله سبحانه وعفا عنهم وهو أعلم بهم ورفع عنهم الحرج . وأكثر من ذلك انهم نالوا أجر المجاهدين لصدق نواياهم . وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا ولا سرتم سيرا إلا وهم معكم . قالوا وهم بالمدينة ؟ قال : نعم ، حسبهم العذر) رواه الشيخان . لقد تأثروا شديد التأثر لقعودهم . وكانوا يودون ـ صادقين ـ لو تمكنوا

وشاركوا النبي في هذه الغزوة .
وغير هذين الصنفين كان هناك الصنف المؤمن المجاهد في سبيل الله . الذي ساعد في تجهيز الجيش بماله ـ كل على قدر سعته ـ أو بنفسه كل على قدر طاقته . وهم الذين صدقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الله فيهم : **(لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعَدَّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم)** ٨٨ و ٨٩ . التوبة .
وهم الذين كابدوا وتحملوا الشدائد . وضحوا بأموالهم وأنفسهم . ولم ترهبهم شدة الحر . ولا وعورة السفر . ولا البعد عن الوطن والأهل . وآثروا الجهاد على القعود مع الخوالف مؤثرين حياة عند ربهم في جنة عرضها السموات والأرض . وكان عددهم يناهز ثلاثين ألفا هم قوام جيش العسرة الذي خرج من المدينة في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة . ومكثوا قرابة الشهرين حتى عادوا للمدينة المنورة في رمضان بغير حرب فلما وصل النبي الى تبوك أتاه يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله وأعطاه الجزية . وأتاه أهل حرباء وأذرح فأعطوه الجزية . فكتب النبي لهم كتابا فهو عندهم فيه أمان لهم .

ـ ٣ ـ

وغير هذه الطوائف كانت هناك جماعة المخلّفين الثلاثة . هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك رضي الله عنهم . تخلّفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك . إلا أن شأنهم كان غير شأن سائر المخلّفين . ثم إن قصتهم لقيت عناية من القرآن الكريم ومن المسلمين السابقين واللاحقين لما فيها من العظات البالغات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .
أول الأمر كان قد تخلف معهم أبو خيثمة مالك بن قيس . أغرته المدينة وهواؤها . وعز عليه أن يترك أهله وثمره الذي أينع والعيش المرفّه ويستبدل ذلك كله بالقيظ الشديد ، والمعاناة في السفر ، ومكابدة الحرب ، إلا أن ضميره قد استيقظ مسرعا . فبعد أيام من خروج النبي رجع أبو خيثمة الى أهله في يوم حار . فوجد امرأتين له في خيمتين لهما في حائطه قد رشت كل منهما عريشها وبردت له ماء وهيأت له فيه طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له . وخطر بباله ما يعاني منه جيش العسرة في الطريق الى لقاء جيش الروم في تبوك . وضاقه أن ينعم هو بين النساء والماء البارد . والجيش يتنقل من وادٍ الى وادٍ تحت وهج شمس الصحراء القاسية . ولم يرض لنفسه أن يبقى مع المخلّفين فقال : (رسول الله في الضح ـ بالكسر الشمس ـ والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد

وطعام مهيأ . وامرأة حسناء في ماله مقيم . ما هذا بالنصف !) ثم قال : (والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله) ثم لحق بالرسول لما نزل في تبوك فأنشد يقول :

تركت خصيبا في العريش وصرمة
صفايا كراما بسرها قد تحمما

وكنت اذا شك المنافق أسمحت
الى الدين نفسي شطره حيث يمما

ثم أخبر رسول الله الخبر . فقال له خيرا ودعا له بخير .

ولقد عانى المسلمون في غزوة العسرة كثيرا وقد أصاب الناس فيها مجاعة فطلبوا من النبي أن يأذن لهم في نحر نواضحهم ليأكلوا ويدهنوا فأذن لهم فقال عمر : ((ان فعلوا ذلك قلّ الظَهر . ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم بالبركة لعل الله يجعل فيه ذلك) فدعا عليه الصلاة والسلام بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكفّ الذرة . والآخر يجيء بالكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير . ثم دعا الله بالبركة ثم قال لهم : « خذوا في أوعيتكم » فأخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في المعسكر وعاء الا ملئوه وأكلوا حتى شبعوا . وفضلت منه فضلة فقال رسول الله : « أشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله . لا يلقى بها الله عبد غير شاك . فتحجب عنه الجنة ». رواه احمد .

وبقى المخلّفون الثلاثة وادعين هانئين في الظل والنعيم في المدينة حتى قفل الجيش من تبوك .

انهم تخلفوا من غير شك ولا نفاق . وقد كشف الله أمر المنافقين والبكائين والمجاهدين الصادقين . وأرجأ أمر الثلاثة الى حين . فقد جاء المنافقون الى النبي بعد عودته فجعلوا يحلفون له ويعتذرون . فصفح عنهم ولم يعذرهم الله ولا رسوله ولكن كعبا وصاحبيه تخلفوا عن هؤلاء فأرجأ الله أمرهم حتى يقضي فيهم أمره .

\- ٤ -

بعد أن خرج النبي بالجيش حدثت كعبا نفسه بسرعة اللحوق به . ولكنه ظل يماطل ويسوف . الى أن استجاب لداعى الدعة والراحة .

كان يسير في المدينة فلا يلقى بها إلا منافقا معروفا . او معذرا من البكائين الذين لم يجدوا ما يحملهم الى تبوك . فكان ذلك يحزنه . وغير أولئك لبوا نداء ربهم . (انفروا خفافا وثقالا).

ومكانة كعب بين المسلمين ليست من الهوان بحيث يؤثر البقاء مع هذين

الصنفين .فلما وصل الجيش الى تبوك وأخذ النبي يتفقد المجاهدين لم يجد كعبا فلما لم يجده سأل عنه فمن المسلمين من قال : حبسه برداه والنظر في عطفيه . ولكن معاذ بن جبل اعتذر عنه وقال : « يا رسول الله والله ما علمنا منه إلا خيرا » يريد أن يلتمس له عذرا سببا لتخلفه .

ومما كان يؤرق كعبا وصاحبيه تفكيرهم الدائم في كيفية مواجهة النبي ثانية . ولا يعرف أحدهم كيف يعتذر وبأي وجه يلقاه صلى الله عليه وسلم . انه لا يرضى لنفسه أن يلتمس عذرا وهو يعلم أن لا عذر له . ولا يليق به أن يكذب فيتعلل بعلة واهية قد تنطلي على النبي فالله سبحانه يعلم السرَّ وأخفى . وكلما فكر أحدهم في أن يكذب لينجو من غضب النبي . لم يطاوعه ضميره الحي ونفسه الطيبة . بل كان يجد وازعا من نفسه يدفعه الى الصدق دفعا . وليكن ما يكون ولم يهدأ له بال طوال زمن سفر الجيش . وأخيرا اختار الصدق على الكذب . راجيا مغفرة الله لذنبه والكذب ليس من شيم المسلمين . واستقر رأيه على ذلك . وبعد عودة الجيش جلس النبي في المسجد وأخذ الناس يقدّمون له أعذارا واهية وهو يقبل أعذارهم ويكل سرائرهم الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ورأى المخلّفون الثلاثة الناس يقفون بين يدى النبي ويحلفون له أنهم ما تركوه الا لأعذار . فيعفو عنهم فدفعهم ذلك على ان يصدقوا وسأل النبي كعبا « ما خلّفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ » قال : والله ما كان لي عذر . فقال له النبي : « أما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضي الله في أمرك ».

وبعد حين تناهى الى سمع كعب أن هلال بن أمية ومرارة بن الربيع شاركاه ما فعل وصدقا كما صدق . فعلم أنهم ثلاثة مرجئون لأمر الله عز وجل .. إما قرآنا ينزل في شأنهم أو توبة من الله عليهم . ولكن توجيها صدر من النبي بمقاطعة الثلاثة نهائيا . وفي الحال رأى واحد منهم أن حصارا قاسيا قد ضرب حوله . إنه حصار اجتماعي رهيب .. يكلم الناس فلا يكلمونه .. ويلقي على أحد المسلمين السلام فلا يجيبه . فالكل قد استمع لتوجيه النبي واستجاب له . فتنكّر الناس لهم وتغيروا . حتى تنكّرت لهم الأرض . ولبثوا على ذلك خمسين ليلة .

ـ ٥ ـ

خمسون ليلة مرت على مقاطعة الثلاثة . بسبب صدقهم . لم يندم أحدهم على صدقه هذا . فلم يكن يرضى واحد منهم أن يحشر في زمرة المنافقين . وكل ما يكون في الدنيا فأمره هين ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . فإيمانهم قوى وأعمالهم شاهدة على ذلك وما حدث إنما هو



مأتم الإنسانية

للاستاذ/ محمد أمين الجندي

إنا لفي زمن غاضت بشاشته
ساد القوي به ، والظالم العاتي
وعمت الأرضَ فوضى ، لا مثيل لها
وقُدست كل أنواع الضلالات
والناس أضحوا شياطينا معربدة
ضلوا السبيل ، وهاموا باللذاذات

الماجد الحر ، منبوذ ومضطهد
والساقط الفسل ، مرموق المكانات
والعدل عندهمَ اسطورة بليت
والدين في زعمهم ، محض الخرافات

لا يرعوون اذا ساروا لمعصية
يندى لها خجلا ، وجه المروءات
وشوهوا الحق بالبهتان ،وانقلبوا
لا يحسنون سوى فن الدعايات
عباد مال أثاروا كل مشكلة
من أجله ، فاصطلوا نار العداوات

برئتُ من عالم ، لا دين يعصمه
ولا ضمير له ، أعمى البصيرات
مـزعـزّع السلـم ، مجنـون الـهـوى ، نزق

يعيش عيش ضلول ، في متاهات
سـاد الفسـاد ،وشـاع الشر ، واستعرت

لظى المطامع ، في صدر الحماقات
وأصبح الناس من رعب ومن قلق
كطـائـر يتلـوى في الحُبـالات
أهكذا يا أولى الألبابِ ، يفتنكم
عن منهج الحق ، حب النفس والذات ؟

لا كـان علم لكم ، ألقى أزمته
راع الوجود بأشقى الاختراعات
يا رب مخترع ، سالت قريحته
سمـا يُقطّر من نـاب المنيـات
وما الصواريخ تنزو في قماقمها
إلا نذيرا ، بأحداث جسيمـات
كم في سبيل الردى ، أنفقتم عبثا
- والنــاس جـوعى - مـلايـين الجنيهات

والعلم ما لم يكن نعمى ومرحمة
على الأنام ، فأنعم بالجهـالات
لولا أنانية الطاغين ؛ ما اشتعلت
نار الحروب ، وعشنا في سعادات
متـى أرى الأرض ، قـد عـاد السـلام لها

والحـقّ أنصَفـه ، رب السموات ؟

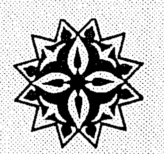
مائدة القارئ

حتى لانضل

قال تعالى : « ياداود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .
الآية ٢٦ من سورة ص .

مكانة العلم

عن عون بن عبدالله قال : قلت لعمر بن عبدالعزيز : يقال : ان استطعت أن تكون عالما فكن ، فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تكن متعلما فأحبهم ، فـإن لـم تحبهـم فـلا تبغضهم .
فقال عمر : سبحان الله ! لقد جعل الله له مخرجا .



سجدة التلاوة

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « جاء رجل الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله ، إني رأيت في هذه الليلة ، فيما يرى النائم ، كأني أصلي خلف شجرة ، فرأيت كأني قرأت سجدة ، فرأيت الشجرة كـأنها تسجـد لسجـودي ، فسمعتهـا وهي ساجدة ، وهي تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وضع عني بها وزرا ، واقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود ؟
قال ابن عباس : فرأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ السجدة ، فسمعته وهو ساجد يقول مثل ماقال الرجل عن كلام الشجرة »

نصيحة

خطب عثمان بن عتبة الى عمه عتبة ابنته ، فأجلسه بجانبه ، ثم قال : أقرب قريب ، خطب أحب حبيب ، لا أستطيـع له ردا ، ولا أجد من إسعافه بدا ، قد زوجتكما وأنت أعـز علي منهـا ، وهي ألصق بقلبي منك .
فأكرمها يعذب على لساني ذكرك ، ولاتهنها فيصغر عندي قدرك .
وقد قربتك مع قربك ، فلا تبعد قلبي من قلبك .

العدوّ

العدوّ نوعان : إنسي .. وشيطاني .

فأما العدو الانسي : فالله يدعونا الى مصانعته والاحسان اليه . عسى يرده المعروف عن عداوته ويدفعه الى الموالاة والنصرة .

وأما العدو الشيطاني : فالله يأمرنا بالاستعاذة منه ، اذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ، ولا يبتغي غير هلاك الانسان ، قال تعالى : « **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** »

طرفة

حل رجل ثقيل الظل ضيفا على آخر ، وأطال المكث عنده .

فقال له : ياصاح أطلت المقام ، ولاشك أنك اشتقت الى زوجتك وأولادك .

فقال الضيف : نعم ، ولذلك سأحضرهم الى هنا .

السكينة

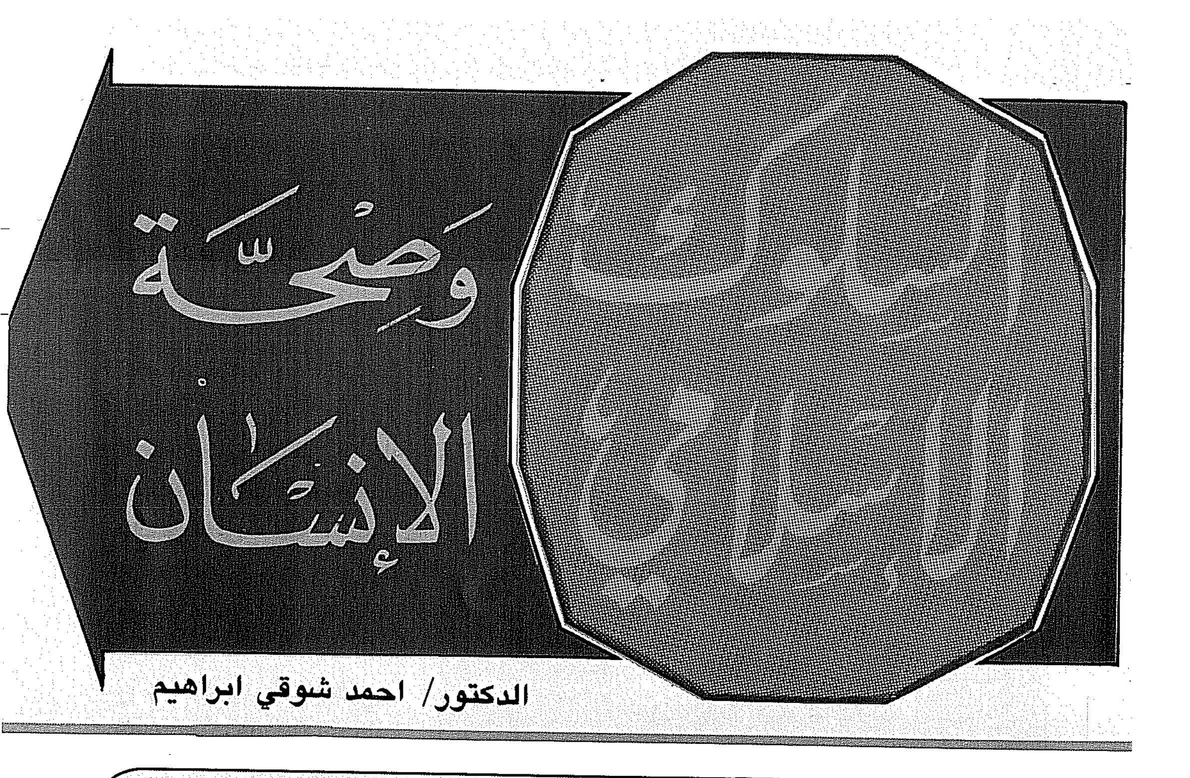
يقول ابن القيم : ان السكينة تورث الانسان خشوعا في الطاعة ، ويقظة في العبادة ، وتعظيما للمعبود جل جلاله ، كما تورثه محاسبة النفس ، ومراقبة الخالق ، وحسن معاملة الخلق ، والرضا بالقضاء ، وتورثه ان يجعل عقله امام لسانه ، فلا ينطق الا بميزان ، وتورثه الا يكون عبدا لشهوته ، أو انفعاله ، أو عاطفته ، بل هو يتلبث ، ويتريث ، ولا يتصرف الا بحكمة ، ولا يتحرك الا على نور » .

بذاك ينصرنا الله

من قصيدة لكعب بن مالك .. قالها يوم الخندق :

ويعيننا الله العزيز بقوة	منه وصدق الصبر ساعة نلتقي
ونطيع أمر نبينا ونجيبه	واذا دعا لكريهة لم نسبق
ومتى يناد للشدائد نأتها	ومتى نر الحومات فيها نُعنق
من يتبع قول النبي فانه	فينا مطاع الامر حق مصدق
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا	ويصيبنا من نيل ذاك بمرفق
ان الذين يكذبون محمدا	كفروا وضلوا عن سبيل المتقى

(الحومات : مواطن القتال . نعنق : نسرع)



الدكتور/ احمد شوقي ابراهيم

مقدمة :

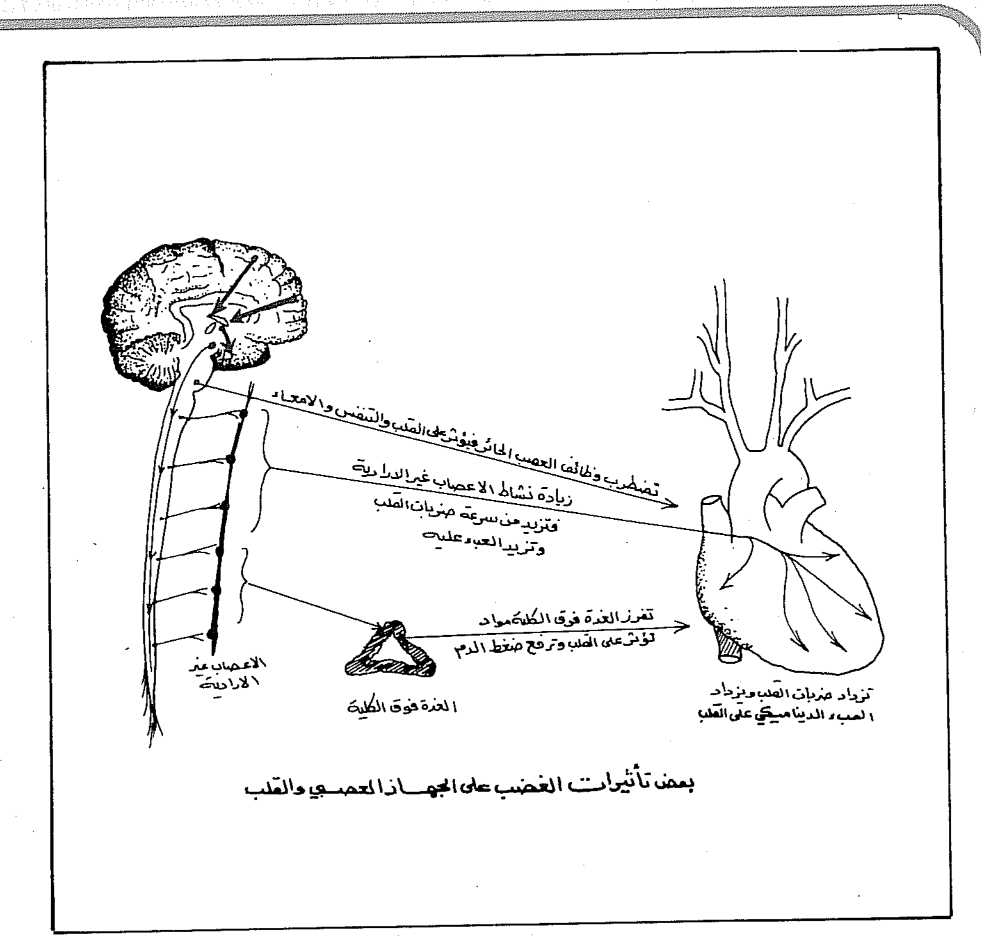
الإسلام هو دين الفطرة السليمة . بل هو الفطرة السليمة نفسها تلك الفطرة التي فطر الله تعالى خلقه عليها .

إن التربية الاسلامية الصحيحة .. وتوجيه الإسلام للسلوك الإنساني ، يهدف الى صحة الانسان وسلامته جسما ونفسا وروحا .. ويهدف أيضا إلى أن يكون الفرد المسلم مثالا حسنا في مجتمعه الذي يعيش فيه ..

إن الفرد المسلم يترجم العقيدة الى تطبيق وعمل صالح .. ويجسد كل المثل الإنسانية العليا التي أمر بها الاسلام في سلوك ينتهجه في كل تصرفاته .

والسلوك الإسلامي ينتظم كل جوانب الحياة الإنسانية سواء أكان سلوكا عاطفيا أم اجتماعيا أم صحيا .. وبذلك يكون الإنسان المسلم والمجتمع المسلم مؤهلا لبناء الحضارة الإنسانية في مختلف العصور ولحمل مشعل التقدم العلمي في مساره الصحيح الذي يحقق الأمن والطمأنينة للبشر جميعا . والحق والخير والصحة للناس قاطبة في كل عصر وزمان ومكان .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه



بعض تأثيرات الغضب على الجهاز العصبي والقلب

وسلم مثالا كاملا للسلوك الإنساني القويم كما قال الله تعالى:(**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/ ٢١ .

وقد يظن البعض أن العبادات في الإسلام تعزل الفرد المسلم عن مجتمعه ولكن الحقيقة أن العبادات إنما تجعل الفرد المسلم في قلب مجتمعه ، ليعطي للجميع خير العطاء في شتى المجالات .. والسلوك الإنساني هو روح العبادات، فكل أعمال الانسان المسلم وسلوكه إنما تنبثق من العبادات .. وكلها صور يكمل بعضها بعضا .. ويشد بعضها بعضا .. والهدف واحد هو سعادة الإنسان وصحته وسلامته جسما ، ونفسا ، وروحا في الدنيا والآخرة .

إن العبادات والأوامر والنواهي في الاسلام ، ليست هدفا في حد ذاتها فحسب ، لكنها أيضا وسيلة لتهذيب النفس البشرية وتصحيح سلوكها الإنساني على المنهج الاسلامي الصحيح .

إن مثل الإسلام كمثل شجرة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء ومثل السلوك الاسلامي كمثل ثمار هذه الشجرة وأكلها .

ونحن إذا تحدثنا عن السلوك الإسلامي وصحة الفرد والمجتمع فإننا نجد أنفسنا أمام سلوك إنساني متكامل يهدف الى صحة الإنسان جسما ، ونفسا في العمل والراحة ، في الطعام والشراب ، في السرور والغضب في السراء والضراء ، في الصحة والمرض ، في نشاطات الحياة اليومية كلها .

الصلاة كسلوك يومي للفرد المسلم :

إذا غضب الانسان وانفعل ازداد إفراز الكورينزون والأدرينالين من غدده الصماء وازداد توتر العصب السمبثاوي ويؤدي ذلك إلى تسارع ضربات القلب وخفقانه وارتفاع ضغط الدم .. ولو كان الإنسان مريضا بارتفاع ضغط الدم أو مريضا بتصلب شرايين القلب أو المخ .. لتعرضت نفسه لكارثة صحية إذا ثار أو غضب ، والإنسان الذي يغضب كثيرا ويثور لأتفه الأسباب يكون عرضة لسلسلة من الأمراض مثل مرض ارتفاع ضغط الدم والذبحة الصدرية ومرض السكر ومرض قرحة المعدة والاثنى عشر .. وتحدث له فوق ذلك اضطرابات نفسية وعصبية لاحد لها .

ولم تكن مضار الغضب للإنسان معروفة من قبل .. ولقد عرفناها نحن من خلال علمنا حديثا جدا .. وفي أمريكا يولعون بالاحصاءات ... فقد نشر أحدهم بحثا يقول فيه إن الانسان إذا ضحك من كل قلبه دقيقة واحدة فان ذلك يكون سببا لأن يطول عمره خمس دقائق .. ولا ندري مقدار ذلك من الصحة .. ولكن من المؤكد أن نوبات الغضب في الإنسان تقلل من عمره الافتراضي حتما . فلو أراد أي إنسان أخذ مشورتي كطبيب لقلت له على الفور : لا تغضب ... لا تغضب ..

هذه نصيحة ينطق بها الطب الحديث .. ولكن مهلا .. إن من يطالع السنة النبوية الشريفة يجد أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم قد علمنا كل ذلك فقد روى البخاري والترمذي ومالك وأحمد : عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه « أن رجلا أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر عليّ فأنسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تغضب ».

وروى الترمذي ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه« أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ».

وروى أحمد في مسنده أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصني قال صلى الله عليه وسلم : لا تغضب » قال الرجل : فتفكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله .

ما علاج التوتر العصبي .. والثورة النفسية التي يتعرض لها الانسان في حياته اليومية ؟ .. في الطب يكون العلاج بالمهدئات .. وهي أدوية لها مفعول مؤقت .. ولكن آثارها الجانبية تدخل الإنسان في حلقة مفرغة من المتاعب ، لا يستطيع أن يتخلص منها بسهولة .. وهكذا يصبح العلاج الذي يتناوله ليريحه ، مشكلة أخرى تضاف الى مشكلاته الكثيرة ، فاذا اتجهنا إلى المهدئات كعلاج لحالات التوتر العصبي والاضطراب النفسي فاننا لا نجد فيها حلا مناسبا ، بل نجد فيها مشكلات جديدة أيضا ..

إن الاضطرابات النفسية ، تغير من شخصية الإنسان ، وتغير من سلوكه .. وما دام الأمر كذلك ، فالعلاج الصحيح لا يكون بالمهدئات ، وانما يكون بتغيير سلوك الإنسان نفسه . فتغيير السلوك ، يغير الشخصية .. إذن فالشفاء من الاضطرابات النفسية والتوترات العصبية في حياة الانسان يرتكز على ممارسته سلوكا جديدا وبصورة مستمرة .. وماذا تكون نتيجة ذلك ؟

النتيجة أن شخصية الإنسان تتغير من الشخصية الغضوبة المتوترة الى الشخصية الهادئة الوديعة .

وحتى تصل إلى ذلك ، هناك طرق كثيرة للعلاج منها :

١ ـ الاسترخاء العضلي والنفسي .

٢ ـ العلاج بتقليل الحساسية الانفعالية .

وهذا أحدث ما توصل إليه العلم في عصرنا الحاضر .

إن الاسترخاء العضلي من ضمن وسائل العلاج النفسي الحديث ويتحقق ذلك بعمل جلسات يتدرب فيها المريض تحت إشراف طبيب نفسي ، على الاسترخاء النفسي والعضلي . وهذه الجلسات تريح الإنسان أكثر بكثير من المهدئات من العقاقير .

أما العلاج بتقليل الحساسية الانفعالية فهو يكون بتدريب الانسان على ممارسة الاسترخاء النفسي في مواجهة التحديات والمواقف التي تثير غضبه وقلقه وضيقه النفسي وتوتره العصبي ، وذلك بدون حساسية وبدون انفعال .

ويحدث ذلك تدريجيا وتحت إشراف طبيب نفسي أيضا .. وبذلك يتحول رد الفعل لدى الإنسان لصعوبات الحياة وتحدياتها من القلق والتوتر الى الهدوء والطمأنينة والاسترخاء العضلي والنفسي معا .. وقد تنجح هذه الطرق العلمية في العلاج وقد لا تنجح .. شأنها في ذلك شأن أي علاج آخر ..

لكن العبادات في الإسلام أكثر فائدة وأعم نفعا .

ففي الصلاة : شفاء من كل ذلك .. نبتدىء بالوضوء ثم بالتوجه إلى الله تعالى صفا واحدا ، ثم الركوع والسجود في خشوع واطمئنان كاملين .

أولا : الوضوء يهدىء النفس ويزيل عن الانسان التوتر لأن الاغتسال بالماء من الناحية النفسية يحدث حالة من الاسترخاء النفسي ويزيل ما بالانسان من توتر وغضب وهذه

حقيقة علمية توصل العلم إلى معرفتها في عصرنا الحاضر .

ونقرأ في السنة في ذلك علما فقد روى أحمد في مسنده أن رجلا دخل على عروة بن محمد فكلمه بكلام أغضبه .. فلما غضب قام ثم عاد إلينا وقد توضأ وقال : حدثني أبي عن جدي قال لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ) واما التصرفات السلوكية العلاجية في حالات التوتر والغضب والضيق النفسي فهي أن يجلس الإنسان وهو في هذه الحالات إذا كان واقفا او يضطجع إن كان جالسا .

هذه التصرفات وهذا السلوك يزيل الاتجاه النفسي اللاإرادي الغاضب ويجعله تصرفا نفسيا إراديا خاضعا لارادة الانسان ويعطيه الفرصة الكاملة للنظر والتروى ومراجعة النفس .. في طمأنينة واسترخاء .. فيزول عنه التوتر .. ويذهب عنه الغضب .. فجلوس الإنسان الغاضب إذا كان واقفا أو اضطجاعه إذا كان جالسا يمنحه الفرصة للاسترخاء النفسي ويتعارض تماما مع كل انفعال نفسي فيشفى منه .. وهذا العلاج السلوكي هو من تعاليم الإسلام فقد جاء في مسند أحمد أن أبا ذر كان يسقي على حوض له فجاء رجل فأورد على الحوض فدقه .. وكان أبو ذر قائما فجلس .. ثم اضطجع .. فقيل له يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت ؟.

فقال لقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب أو فليضطجع) .. وذهاب الانسان إلى المسجد ووقوفه صفا واحدا مع الناس جميعا علاج نفسي عظيم للمصلي .. وسلوك إسلامي صحي يؤدي الى الآتي :

١ ـ حب الناس في مجتمعه الذي يعيش فيه ويتعامل معه .

٢ ـ تنمية عاطفة حب الغير والمساواة بهم .. وتجنب الاستعلاء عليهم .

٣ ـ يزيل من النفس الكراهية والبغضاء لأي واحد من الناس .

٤ ـ يربي في النفس الاندماج في المجتمع بروح المحبة والخير . روح الانتماء للمجتمع الذي يعيش فيه فيزيل بذلك شعور الوحدة والعزلة التي يشكو منها الكثير من المرضى النفسيين .

إن التوجه الى المسجد للصلاة كسلوك اسلامي يومي ووقوف الناس جميعا صفا واحدا يحقق الشفاء للنفس البشرية .

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« أقيموا صفوفكم » فكان أحدنا يلزم منكبه بمنكب صاحبه وقَدَمَهُ بقدمه .

وهكذا فان الصلاة كعبادة وكسلوك إسلامي تحقق الصحة النفسية للفرد وللمجتمع على حد سواء .

الحُرُّ والمُرُّ والذكريات الغُرّ

للأستاذ / عمر بهاء الدين الأميري

ياصباح الذِّكريات الغُرِّ
يا أسنى صَبَاحْ
ذكرياتِ المولدِ المعطاءِ
والخَيْرِ القَرَاحْ★
ذكرياتِ السَّعدِ والمَجْدِ
وإرساءِ الفَلاَحْ
بِرسولِ الله ، بالقرآنِ
بالدِّين الصُّرَاح★
يا صَبَاحَ الذكرياتِ الغُرِّ
في قلبي جِرَاح
أتمنَّى بَسمةً ... ياليتَها
كانت تُتَاحْ !

●●

يارسولَ اللهِ عُذراً ،
فالأبيُّ الحُرُّ طَاحْ★
ولقد أغناك مَدْحُ الله
عن أيِّ امتِداح

حق ذكراك انتهاجٌ
وابتهاجٌ وانشراحْ
بيد أنّي ، هاجتِ الذِّكرى
أسى قلبي فبَاح
وشكا لله مر البَثِّ*
واستعدى*وَصَاح

●●

أمَّةُ الإسلام في وَيْلاتِ
غَيٍّ ... وسِفَاحْ*
تتلقى طَعَنَاتِ الضُّر
مِنْ كلِّ النَّواح
نفرٌ قد أورَدُوها حَتْفَهَا
باسْمِ الكِفَاحْ
وشعوبٌ في إسارٍ ، قد
أجرَّتها* الرِّمَاح
وعدوٌ غاشِمُ الفَتْكِ
يهوديٌ وَقَاح
وجنودُ اللّهِ في بعثرةٍ
غَرقى تَلاَحْ*
مابأيديهم سِوى الموتِ
- ولو هدراً - سلاح
شهداءٌ ... - كَتَبَ اللّه -
ولكنَّ النَّجَاحْ ...

النجّاحَ الحقَّ ، أن يستأصِلَ
البَغيَ امْتِتَاحُ★
لا بأنْ نُطوى ، ويَبْقى البغيُ
والكُفْرُ البوَاح

●●

يا دُنَى الإسلام ، ماعَادَ
مُبَاح بِمُباحْ !
أتنامينَ ؟! وفي أوْطانِكِ
العُدْوانُ صَاح !
ماخِصَامٌ بين أبنائِكِ ؟!
ياهَوْلَ الجُنَاح★
مااحتِفاءاتُكِ بالسِّلم
وما هذا المِراح★
ما احتِفَالاتك بالذّكرى ، وهَلْ
هَلْ مِنْ طِماحْ ؟!
وعُرامُ الظُّلْمِ أخْنى★
في وِهَادِ وبِطَاحْ
وحِمى المِعْراجِ والأقْصى
مكادُ ... مُستَبَاح
جَدَّ جِدُّ الموتِ ياالاهينَ
في أخَزى مِزَاح !

واهِ للأوْاهِ ، والهَمُ جُذَىً
والرَّكبُ جَاحْ*
لم يَكُنْ ـ مُذْ كانَ حُرًا ـ
بالّذي استَخْذَى وَناحْ
وهو اليوم رَهينُ القهرِ
تذروهُ رِياحْ
كاهلُ كَلَّ ، وأمرٌ جَلّ
والسّاحُ* فِساحْ

●●

ما الذي أملِكُ ياربّي
ولو كُنتُ « صَلاحْ »
إنها الجُلّى* ، ومَنْ حَوْلي
عَنِ الجُلّى طِلاحْ*
وأنا في عُزلَةِ المُضطرِّ
مغلولُ السّراح
وأصابتْ قَلبيَ الذّبحةُ
وارتجَّ الجَناح

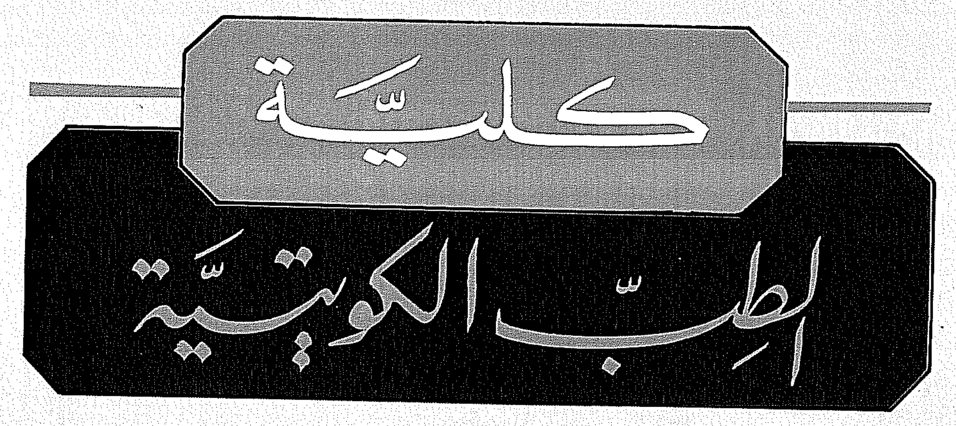
●●

يا رسولَ اللّهِ في هَدْيِكَ
لي رَوْحٌ وراح

إنهُ يَصرخُ بي ، في حِكَمٍ
غُرٍّ ... صِحَاحْ
لا يُنيلَ النَّصْرَ مِثلُ الصبر
في السَّعي المُتَاح
وبتفويض جِماعِ الأمْر
لله ، رَبَاح
فاسْعَ ياحُرُّ وثابِرْ
في مَساءٍ وصَباحْ
لا تَقُلْ أزْلاَ★ وَعَذْلاَ :
عُمُري وَلَّى وَرَاحْ
قَدِّرِ الحِكْمَةَ ، وارضَ الحُكْمَ
مَنْ يَرْضَ استراح
وتَجمَّلْ ... وتَحمَّل ، ثِقَلَ
العِبْءِ الرَّزَاحْ★

القراح : الخالص الصافي
الصراح : النقي البين
طاح : تاه واشرف على الهلاك
البث : أشد الحزن
استعدى : استغاث واستنصر
غي : الغي : الضلال والتمادي في الجهل
سفاح : السفاح : سفك الدماء
اجرتها : أجره : طعنه وترك الرمح فيه يجره
تلاح : التلاحي : التلاعن والتلاوم
امتتاح : الامتتاح : الانتزاع

الجناح : الذنب
المراح : الفرح والنشاط
اخنى : أهلك وجار وغدر
جذى : جمع جذوة
جاح : حاد عن الطريق
الساح : جمع ساحة
الجلى : الأمر العظيم
طلاح : جمع طلح : وهو الهزيل المعيي
ازلا : الأزل : الوقوع في الضيق والشدة
الرزاح : الثقيل الذي لايكاد يتحمله الكاهل



الاحتفال بتخريج الدفعة الأولى من طلبتها

كتب نجيب الرفاعي :

برعاية صاحب السمو الأمير احتفل يوم ١٩٨٣/١٢/٥ بتخريج اول دفعة من طلبة كلية الطب بجامعة الكويت وقد حضر الحفل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم ورئيس مجلس الأمة الكويتي السيد محمد يوسف العدساني والوزراء وأعضاء مجلس الأمة وسفراء الدول العربية والاجنبية في الكويت وعدد من أولياء أمور الطلبة الخريجين والخريجات .. هذا وقد كان للخريجين الجدد شرف كونهم أول أطباء يقسمون باللغة العربية ، القسم الاسلامي الذي أوصى به المؤتمر العالمي الأول للطب الاسلامي .

استهل الحفل الكبير بتلاوة مباركة لبعض من آيات الذكر الحكيم ثم ألقى الدكتور/ يعقوب الغنيم وزير التربية الرئيس الاعلى للجامعة بهذه المناسبة كلمة أعرب فيها عن سعادته بتخرج الدفعة الأولى من كلية الطب وأشار إلى أن إنشاء كلية الطب كان ضمن خطة الجامعة لتوفير مختلف التخصصات التي تحتاج إليها خطط التنمية وقال .. إن هذه الخطة لم تقتصر على إنشاء كلية الطب فقط بل امتدت أيضا إلى العلوم الطبية المساعدة حيث أنشئت كلية العلوم الطبية المساعدة والتمريض وهناك دراسة لإنشاء كلية لطب الأسنان وذلك في إطار مركز العلوم الطبية .. وقد تمنى الوزير في ختام كلمته التوفيق والسداد للخريجين والخريجات ..

ثم ألقى بعد ذلك الدكتور/عبد الرحمن العوضي وزير الصحة ووزير التخطيط كلمة جاء فيها ..

في هذا اليوم الذي انتظرناه طويلا ، يؤتي الروض ثماره ، وينعم الزارع بحصاده ، وتهدى كلية الطب الكويتية باكورة خريجيها إلى الوطن العزيز ليندرجوا في صفوف مزاولي المهنة الطبية ، جنوداً مكافحين ، وبررة مخلصين ، ورسلا للانسانية ، وأعوانا للإنسان في مدافعة المرض بالوقاية والعلاج ، ولينضموا إلى تلك المهنة النبيلة ، التي نذرت نفسها وجهدها ووقتها في أشرف جهاد ، في أشرف ميدان .. وأضاف الدكتور العوضي .. وليعلم أبنائي الخريجون أنهم وهم يمارسون مهنتهم فإنه لا رقيب عليهم إلا الله سبحانه وتعالى وضمائرهم فليخشوا الله فيما ائتمنوا عليه ، وليتفانوا في أداء واجبهم نحو مرضاهم ، فيسخروا كل معلوماتهم وإمكاناتهم ووقتهم ، من أجل شفاء المريض وتخفيف آلامه والمحافظة على حياته .

وقد شكر الوزير العوضي في ختام كلمته صاحب السمو لتشريفه حفل التخرج ورعايته له .

ثم ألقى بعد ذلك مدير جامعة الكويت الدكتور/عبد الرزاق العدواني كلمة رحب فيها بصاحب السمو الامير ثم قال :

« .. رأى بعض المخلصين من أبناء هذا الوطن أنه قد يكون من الاسلم والايسر أن نرسل طلبتنا لدراسة الطب في الخارج دون أن نتكبد مصاعب إنشاء كلية طب كويتية : قد لا تكون على المستوى الذي نرغب فيه وكانت حجتنا نحن الذين كنا مقتنعين بضرورة إنشاء كلية طب وطنية هي أولا: أنه لا يمكن أن نستمر في استيراد الأطباء من الخارج خصوصا وأن جميع الدول تسعى لتطوير خدماتها الصحية والتوسع فيها ثم إن هذا التوسع قد يستدعي قصر قبول الطلبة لدراسة الطب على مواطني الدولة فقط .. وأصبح ماكنا قد توقعناه حقيقة واقعة فإنه من الصعب في هذه الأيام قبول الطلبة في كليات الطب في العالم لغير المواطنين وخاصة في كليات الطب ذات المستوى الجيد التي كنا نطمح في إرسال طلبتنا إليها .. ثانيا:إن وجود كلية طب وطنية في الكويت ستساهم في رفع مستوى الخدمات الصحية وتقدم البحث الطبي . كما ستقوم بدراسة المشاكل الصحية الاقليمية والتي قد لا تكون مركز



اهتمام في كليات طب أخرى في حين أنها مهمة بالنسبة لنا .. هـذا وقد أثنى الدكتور مدير الجامعة على جهود العميد المؤسس الدكتور/عبد المحسن العبد الرزاق ومن اختار معه من مساعدين أكفاء . كان له ولهم الفضل فيما وصلت إليه كلية الطب .
كما ألقى الدكتور الخريج/موسى خداده كلمة الخريجـين .. والتي أعرب فيها عن سعـادته واعتـزازه بتمثيل إخـوانـه وأخواته الخريجـين والخريجات وقال ..
« إن يومنا هذا ليعتبر انطلاقة جديدة لنا في مجال التحصيل العلمي الذي بدأناه بعد جهد سبع سنوات من التـأهيل والتنوير في طريق أشرف المهن وأكثرها عطاء .. نشكر جميع من قاموا على غرس بذور هذه الكلية التي بدأت جني ثمارها اليوم ، وخاصة أساتذتنا الكرام وعلى رأسهم المربي الفاضل الدكتـور عبد المحسن العبد الرزاق الذين بغيرهم ما كان لهذا الصرح أن يعلو .. »

وبعد الانتهاء من إلقاء كلمته قام الأطباء الخريجون وبـرفقتهم عريف الحفـل مسـاعد عميـد كليـة الطب للشؤون الاكاديمية الدكتور عبد اللطيف البدر بتأدية القسم الاسـلامي للطبيب ثم تفضل سمو الأمير ووزير التربية الرئيس الأعلى للجامعة بتوزيع شهادات التخرج على الدكاترة الجدد .



قَسَمُ الطبيب

بسم الله الرحمن الرحيم :

ـ اقسم بالله العظيم ان أراقب الله في مهنتي ، وان اصون حياة الانسان في كافة ادوارها في كل الظروف والأحوال باذلا وُسعي في استنقاذها من الهلاك والمرض والالم والقلق،وان أحفظ للناس كرامتهم . واستر عورتهم واكتم سرهم ، وان اكون على الدوام من وسائل رحمة الله ، باذلا رعايتي الطبية للقريب والبعيد والصالح والخاطىء والصديق والعدو ، وان اثابر على طلب العلم ، اسخره لنفع الانسان لا لأذاه ، وان أوقر من علمني ، وأعلم من يصغرني واكون اخا لكل زميل في المهنة الطبية متعاونين على البر والتقوى ، وان تكون حياتي مصداق إيماني في سري وعلانيتي ، نقية مما يشينها تجاه الله ورسوله والمؤمنين .. والله على ما أقول شهيد .



شرع القتال تأمينا للأنفس والأموال

في أقل من ثلاثين سنة جمع الاسلام الأمة العربية ، ثم تناول من بقية الأمم مابين المحيط الأطلسي وتخوم الصين في أقل من قرن واحد .. وهو أمر لم يعهد في تاريخ الأديان ، ولذلك ضل الكثير في بيان السبب ، واهتدى اليه المنصفون .

أما الذين ضلوا في بيان السبب فقد كان ضلالهم بسبب الجهل بتعاليم الاسلام ، أو بسبب التطاول على الاسلام والكيد له .. ولذلك زعموا ـ بضلالهم ـ أن الاسلام لم ينتشر بهذه السرعة في تلك المدة الوجيزة الا بواسطة السيف واكراه الناس على الدخول فيه . جاهلين أو متجاهلين قول الله تعالى : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)** البقرة / ٢٥٦ .. وقوله جل شأنه :

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين

بعيداً عن جهل الجاهلين وإفك الأفاكين

للدعوة ودفاعاً عن الأعراض والديار

للشيخ محمد الأباصيري خليفه

نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)
الكهف / ٢٩

أما المنصفون فيعزون سرعة انتشار الاسلام الى سببها الحقيقي وهو ان الاسلام دعوة الى الحق ، ومساعدة المغلوبين . والى العدالة الاجتماعية ، والى الحرية في القول الطيب والعمل الصالح .. ودين يطارد رذائل الأخلاق وقبائح الأعمال ، ويتسامى بالنفوس البشرية ، ويحدد الحقوق ، ويساوى بين الناس في الحفاظ على النفس والدين والعرض والمال .. أحكامه ميسرة ، سهلة التعقل والادراك .

والمتأمل للآيات القرآنية التي وردت في القتال لايسعه - ان كان منصفا - الا الجزم بأن القتال في الاسلام إنما شرع تأمينا للدعوة ، ودفاعا عن الأنفس والأموال والأعراض والديار .

وهذه معاني الآيات التي وردت في القرآن الكريم خاصة بالقتال ومنها يتبين صحة ماذكرناه :-

أولا - جاء في سورة الحج آية هي أول ماأنزل في القتال ، وهي قوله تعالى : **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** الحج / ٣٩ و ٤٠ .. وهي تبين أن القتال أذن فيه للمسلمين بسبب ظلم الكفار لهم واخراجهم من ديارهم بغير حق ولاذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله وهذا الإذن قائم كلما وجد سببه .

ثانيا - جاء في سورة البقرة قول الله تعالى : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين)** . البقرة ١٩٠ - ١٩٤ .

هذه الآيات تبين أن الله أمر المسلمين بقتال طائفة مخصوصة من الكفار وهي التي تقاتل المسلمين وتخرجهم من ديارهم ، وتفتنهم في دينهم بإلحاق الأذى بمن آمن .. وجعلت لهذا القتال غاية ، وهي ألا تكون فتنة ويكون الدين لله بأن يكون الانسان حرا في دينه يدين به الله لا خوفا من عقاب يلحقه ، ولا طمعا في متاع يناله .. كذلك تثبت الآيات أن الفتنة « وهي الحاق الأذى بالمؤمن ومحاربته من أجل عقيدته » أشد من القتل لأن الاعتداء على العقيدة شر ما يكون من بني الانسان .. كذلك نهت الآيات عن الاعتداء وبينت أن الجزاء عند الاعتداء لاينبغي أن يتجاوز ما فعله البادي بالعدوان .

ثالثا - جاء في سورة النساء قول الله تعالى : **(ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)** النساء / ٧٥ .

وهذه الآية تفيد أن للقتال سببين **أحدهما** : سبيل الله وهو ألا تكون فتنة ، فلا يحصل اعتداء على العقيدة التي هي حق الله ، وسبب للسعادة الدنيوية والأخروية .

وثانيهما : سبيل المستضعفين الذين كانوا مسلمين بمكة وحيل بينهم وبين الهجرة ، فقد عذبهم كفار مكة وفتنوهم عن دينهم حتى تضرعوا الى الله طالبين الخلاص . فهؤلاء لابد لهم من حماية

تـدفع عنهم أذى الظـالمين ، وتنيلهم الحرية فيما يعتقدون .

رابعا ـ جاء في سورة النساء قول الله تعالى : (**فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**) النساء / ٩٠ .

وهذه الآية نزلت في شأن قوم من المشركين لم يحبوا أن يقاتلوا المسلمين فاعتزلوا الفتنة جانبا ، وهي تفيد نهي المسلمين عن مقاتلة هذا الفريق بشرط أن يكون ميلهم الى المسالمة حقيقيا لا ذبذبة ولا خداع فيه . فان لم يكونوا كذلك فقد جعل الله للمسلمين عليهم سلطانا وأذن لهم بمقاتلتهم حتى يأمنوا شرهم وذلك معنى قول الله تعالى عقب الآية السابقة : (**ستجـدون آخـرين يـريـدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا**) النساء / ٩١ .

خامسا ـ جاء في سورة التوبة قول الله تعالى : (**وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفـر إنهم لا أيمـان لهم لعلهـم ينتهون . ألا تقاتلـون قومـا نكثوا ايمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشـوه إن كنتـم مؤمنـين**) التوبة / ١٢ و ١٣ فقد بينت هاتـان الآيتان أن من أسباب مقاتلة المسلمين للكفار نكثهم للعهود المعقودة بينهم وبين المسلمـين ، وعـودهم الى الطعن في الإسلام .

سادسا ـ كان بين اليهود بالمدينة الرسول صلى الله عليـه وسلم عهود مكتوبة نقضوها بالاتفاق مـع قريش والمنافقين على محاربة المسلمين في غزوة الأحزاب . فأمر الله المسلمين بقتالهم ، وهذا ما يستفاد من قول الله تعالى في سـورة التـوبـة : (**قـاتلـوا الـذين لا يؤمنون بالله ولا باليـوم الآخر ولا يحرّمون ماحرّم اللـه ورسولـه ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**) التوبة / ٢٩

ومعنى الآية : قاتلوا أهل الكتاب الموصوفين بهذه الأوصاف عندما يوجد موجب القتال كالاعتداء عليكم ، أو على بلادكم ، أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم حتى تأمنوا عداوتهم باعطائكم الجزية عن قدرة وسعة فلا يظلمون ولايـرهقون . وبـذلك تكسر شـوكتهم ويكفون عن الاعتداء عليكم .

والجزية قدر من المال يؤخذ منهم جزاء على ما التزمه المسلمون من الدفاع عنهم ، ويشهد بذلك أن الصحابة لما فتحوا الشام وضعوا الجزية على أهل حمص وأخذوها منهم ، ولكنهم لما وصل اليهم أمر أبي عبيدة بحضور موقعة اليرموك وترك حمص ، ردوا الى أهل حمص ما أخذوه من الجزية ، وقالوا إنا أخذناها جزاء المنعة ، وحيث اننا خرجنا

فقد أصبحنا عاجزين عما التزمنا به فوجب ردها ، فعجب أهل حمص من ذلك ودعوا لهم بالنصر .

هذا وقد كان أمر القتال أولا قاصرا على قريش ومن يمالئوهم من يهود المدينة ، فلما اتحدت قبائل العرب مع قريش على حرب المسلمين ، والوقوف في وجه الدعوة الاسلامية ، أذن الله بقتال المشركين كافة فقال تعالى :

في سورة التوبة : (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين**) الآية ٣٦ .

هذه هي آيات القتال في القرآن الكريم ناطقة وشاهدة على أن القتال لم يشرع في الإسلام لإكراه الناس على اعتناقه ، وإنما كانت مشروعيته لتأمين الدعوة ، والدفاع عن الأنفس والأوطان ، وحماية المستضعفين ومعاقبة الغادرين .

وقد أمر الاسلام المسلمين بالجنوح الى السلم متى جنح الأعداء اليه . قال تعالى : (**وان جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيَّدك بنصره وبالمؤمنين . وألَّفَ بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعا ماألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم إنه عزيز حكيم**) الانفال / ٦١ ـ ٦٣ .

إننا نقدم هذا البيان ليتأمل المسلمون في كل مكان مشروعية القتال في الاسلام ، وليدركوا أن وضعهم الحالي من اغتصاب بلادهم ، وغزو ديارهم ، يفرض عليهم أن يعدّوا للأعداء ـ فورا وبلا إبطاء ـ كل مايستطيعون من قوة : « مادية ومعنوية » ليرهبوا عدو الله وعدوهم ، وأن يقاتلوهم حتى يخرجوا من الارض الاسلامية التي اغتصبوها واستولوا عليها ، فهذا هو الطريق الوحيد ، ولا شيء سواه يمكن أن يمنع الأعداء ..

وأمر عديم الجدوى أن تطلب الحقوق (بالمفاوضات والمحادثات) من أعداء غايتهم من العدو ان أن يردوا المسلمين عن دينهم ، كما قال الحق تبارك وتعالى : **(ولايزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا)** البقرة / ٢١٧

أيها المسلون إن الأعداء يمدون لكم حبل المحادثات والمفاوضات حول قضاياكم ليبعدوكم عن العمل الذي يجب عليكم اتخاذه : « وهو طرد المغتصبين والمحتلين والغزاة من بلادكم بالقوة مهما تكن التضحيات » وليستفيدوا من مضي الوقت التمكين والثبات في بلادكم ، وليصلوا بكم الى حالة من اليأس القاتل تمكنهم من زيادة الطغيان والإجرام .. فعليكم أن تستمعوا الى نداء الله ووعده لكم قبل أن يتمكن الداء ، ويصعب العلاج : (**يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد / ٧ . (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**) .. (**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**) محمد / ١١ .. (**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقتُلونَ ويُقْتَلُونَ وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) التوبة / ١١١ .



في ملوك المسلمين ثلاثة عرفوا بحب العلماء وجمعهم وإفشاء آرائهم وكتبهم ورعايتهم ، وهم :

المأمون ، الخليفة العباسي ، ابن هرون الرشيد ، المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، بطوس .

وسيف الدولة الحمداني ، وكان أكثر من المأمون جمعاً للعلماء وترحيباً بهم ، وكان أمير دولة الحمدانيين في شمالي الشام ، وعاصمته حلب ، وهو ممدوح المتنبي الأكبر ، توفي سنة ٣٥٦ بحلب .

ثم أبو الفداء الأيوبي ، ملك حماة ، وهو أكثر الثلاثة إفشاء لعلم العلماء . إذ كان هو نفسه عالماً ضخماً ، ومصنفاً كبيرا ، ومؤرخاً وجغرافياً ملأ ذكره آفاق الأرض .وإنَّ اسم أبي الفداء اليوم مكتوب ـ بالخط العريض ـ على جدار قاعة الجمعية الجغرافية في باريس والى جانب كبار الجغرافيين العالميين ، بعد صدور عشرات الطبعات والترجمات لآثاره في الجغرافية والتاريخ على ما يليق بعالم كبير مثله لم يشغله الملك عن العلم ولا العلم عن قيادة الجيوش وحفظ الديار والقيام بحق الرعية . وهذه الكنية (أبو الفداء) هي عَلَمٌ على أبي الفداء ، ملك حماة في القرن الثامن الهجري ، ولم تعرف لمشهور معروف قبله ، لكن كثيراً من العلماء والأدباء في زمنه ، وبعده تكنّوا بهذه الكنية اقتداء به وتقرباً من منزلته، أشهرهم :

١ ـ الشيخ رشيد ، أبو الفداء ، اسماعيل المعروف بأبي المعلم ، وهو فقيه حنفي من أعلام الفقهاء والمفتين توفي سنة ٧٢٤ هـ ، بمصر ودفن ، بمقبرة القرافة ، وكان مولده بدمشق .

٢ ـ الحافظ ابن كثير ، المحدِّث والمفسرِّ والمؤرخ المعروف ، واسمه اسماعيل بن

شهاب الدين بن عمر بن كثير ، ألَّف التفسير المعروف باسمه ، والبداية والنهاية في التاريخ ، وقد توفي سنة ٧٧٤ هـ . وكانت كنيته أبا الفداء .

٣ ـ أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن يونس البعلبكي عماد الدين من علماء الحديث الشريف ولد سنة ٧٢٠ هـ وتوفي سنة ٧٨٦ هـ .

٤ ـ سامي السراج . الكاتب المناضل القلمي ، في بكور هذا القرن ، وهو سوري الأصل ومن مدينة أبي الفداء الأيوبي حماة ، رحل الى مصر ، بعد خطوب سياسية ، واستقر فيها عُمْرَه ، يكتب في كبريات صحفها وصحف الشام والعراق ، فكتب في السياسة وكوكب الشرق ومصر الحديثة والجهاد ، وكان أديباً في اسلوبه سياسياً عربيا في مطروحاته ، وكان يوقع أكثر مقالاته بكنيته(أبي الفداء) وبها عرف عمره حتى وفاته في مدينة حماة عام ١٩٦٠ م .

ويلاحظ ان كل من تكنى بأبي الفداء كان اسمه اسماعيل ، كأبي الفداء ، ماعدا سامي السراج فانه تكنى بالكنية للحموية التي فيه ، ولمنزع فيه علمي مع منزعه الأدبي والسياسي .

واليوم ، تسمى حماة في سورية مدينة أبي الفداء ، وأول من سماها كذلك النادي الأدبي الحموي عام ١٩٢٥ م في مهرجان أدبي عربي دعي اليه الأقطاب من مصر والشام ، وجاء من مصر يومئذ شيخ العروبة أحمد زكي باشا ـ المحقق العالم ـ والدكتور محجوب ثابت ، وجدد يومئذ مرقد أبي الفداء في جامعه ، وشق طريق ، لاحب من قلب المدينة اليه ، يسمى حتى اليوم شارع أبي الفداء . وأصبح يقال لحماة من يومئذ مدينة أبي الفداء ، أما جِلَّةُ علماء المسلمين قبل ستمائة سنة فقد جرت اقلامهم بهذه العبارة : (قال صاحب حماة) ، يعنون أبا الفداء ، كما يقول الأسنوي في طبقاته وابن كثير في البداية والنهاية والقلقشندي في صبح الأعشى .

وأبو الفداء هو اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي بن مروان . وشاهنشاه هو أخو صلاح الدين الأيوبي فيكون أبو الفداء من نسل أخيه ، وهؤلاء الآباء في نسبه كلهم ملوك في حماة ، اذ كانت حماة لهم من عهد عم ابن شاهنشاه وكان اسمه الديني تقي الدين ، وهو الملك المظفر الأول ، وكان محمود جد أبي الفداء هو الملك المظفر الثاني . وكان آباء أبي الفداء أمراء حماة وملوكها في عهد عاهل العائلة والاسلام السلطان صلاح الدين رحمه الله ، وخلفائه من بعده ، حتى خرج الملك من الايوبيين الى مماليكهم في مصر والشام فخرجت حماة فترة وجيزة من ملك آل أبي الفداء ، ثم أرجعها الى أبي الفداء نفسه سلطان المماليك بمصر : الناصر محمد بن قلاوون الذي كان شديد المحبة والاكبار لأبي الفداء .

وقد ولد أبو الفداء في دمشق بدار الزنجيلي وكان أهله قد جفلوا اليها من حماة أيام الغزو المغولي ، ثم عاد أبو الفداء مع اسرته الى حماة حتى تولاها واستوى على عرشها وانغمر وهو فيها بالحكم والعلم جميعاً .

وحماة مدينة تقع في وسط سورية الآن ، وهي المشهورة بالنواعير على نهرها

المشهور (العاصي) ، وقد ذكر حماة من الجغرافيين الرحالة المسلمين ابن بطوطة وابن جبير وابن سعيد الاندلسي وياقوت الحموي ، وابو الفداء نفسه ، اذ يقول :
حماة من الشام مدينة أزلية ، ولها ذكر في كتب الاسرائيليين (يريد انها قديمة) وهي من أنزه البلاد الشامية ، والعاصي يستدير على غالبها من شرقيها وشماليها ، ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة ، وفي داخلها الأرحية على الماء . وبها نواعير على العاصي تسقي أكثر بساتينها ، ويدخل منها الماء الى كثير من دورها .
ويقول فيها أيضاً :
حماة على ضفة العاصي وبها قلعة مبنية بالحجارة الملونة ، وفيها نواعير مركبة على العاصي تدور بجريان الماء ويرتفع الماء الى الدور السلطانية ودور الأمراء والأكابر والبساتين ، وفي بساتينها الغراس الفائقة ، والثمار الغريبة ، وهي في غاية رفاهية العيش ، وحولها مروج فسيحة ممتدة يكثر فيها صيد الطير والوحش وليس في المماليك الشامية - بعد دمشق - لها نظير .

وقد نشأ أبو الفداء في هذه المدينة النزِهَة الجميلة . فشارك مع أهله في الحروب لصد الغزاة من صليبيين وتتار ، وأكب على طلب العلم ، فذكر ابن الشحنة استاذاً واحداً للملك أبي الفداء هو أثير الدين الأبهري ، أخذ عنه أبو الفداء الرياضيات والهندسة والهيأة (الفلك) وغيرها .

وذكر أبو الفداء لنفسه استاذاً آخر هو القاضي جمال الدين محمد بن واصل الحموي ، في معرض ذكره وفاته (سنة ٦٩٦ هـ) وابن واصل هو مؤلف تاريخ : « مفرج الكروب في أخبار دولة بني أيوب » الذي حققه الدكتور جمال الدين الشيال بمصر . وذكر أبو الفداء أنه كان يأخذ عن ابن واصل حلا واضحاً لاشكالات كتاب اقليدس ، ويستفيد منه ، ويعرض عليه ما يحل بنفسه .

وقد مهر أبو الفداء في علوم شتى كالفقه والتفسير والأصلين والنحو وعلم الميقات والفلسفة والمنطق والطب (مع الاعتقاد الصحيح) والعروض والأدب والتاريخ والنظم والنثر وغير ذلك ، وكان شاعراً مرموقاً .

أما تصانيفه الجليلة فهذه هي :

١ - المختصر في أخبار البشر
٢ - تقويم البلدان
٣ - الكناش
٤ - العروض والأطوال
٥ - نظم الحاوي الصغير
٦ - الموازين
٧ - التبر المسبوك في تواريخ الملوك
٨ - مختصر اللطائف السنية في التواريخ الاسلامية
٩ - شرح نظم الكافية
١٠ - نوادر العلوم

١١ ـ مجموع في الأخلاق والآداب والزهد والوعظ

وان أشهر هذه المؤلفات لأبي الفداء كتاباه في التاريخ والجغرافية ، أي كتاب المختصر في أخبار البشر ، وكتاب تقويم البلدان .

أما كتاب المختصر فهو كتاب في التاريخ العام في أربعة أجزاء ، أرَّخ فيه للبشرية منذ الخليقة حتى سنة ٧٢٩ هـ ، وهي توافق ١٣٢٩ م ، أي الى ما قبل وفاة أبي الفداء بقليل . يقول حاجي خليفة في (كشف الظنون) :

« ان المختصر في اخبار البشر في مجلدين للملك المؤيد صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، أورد فيه التواريخ القديمة والاسلامية ليكون تذكرة » مغنية عن مراجعة الكتب المطولة ، واختصره من الكامل (يعني من ابن الأثير) وغيره ، ورتبه على السنين .... »

ولما فشا الكتاب احتفل العلماء به ، فاختصره ابن الوردي بعد ما رآه « ندرة من الكتب » وزاده حسناً فألحق به أعياناً وسماه (تتمة المختصر) وذيله من حيث وقف أبو الفداء الى آخر سنة ٧٤٥ للهجرة .

كما اختصره أيضاً ابن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥ للهجرة ، وذيله الى زمانه وسماه : روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر . وهذان الكتابان مطبوعان سنة ٧١٠ هـ وقد فشا الكتاب الفدائي (المختصر) في أوروبا مترجماً الى اللاتينية في القرن الثامن عشرة فأصدره ريسكا وإدلر في فيينا مترجماً مع الأصل العربي في خمسة مجلدات كبيرة سنة ١٧٩٤ للميلاد . ومن قبل ذلك ، بسنين ، وفي غوتنجن .. نشرت قطعة منه مع ترجمتها وشروحها عام ١٧٧٦ م ، كما نقلت قطعة أخرى منه الى الفرنسية ونشر في باريس باشراف « دوفرجيه » . كما ترجم موراي Mourray جزءاً منه الى الانكليزية . ثم طبعه في الآستانة نقلاً عن طبعة أوروبة عام ١٨٦٩ م ، كما طبع، العلامة فلا يشر قسماً منه تحت عنوان :

Abulfedaa Historia — H . o . Fleisher

وذلك في ليبزيغ عام ١٨٣١ وجعل فيه النص الغربي مع الترجمة اللاتينية .

وأما كتابه (تقويم البلدان) فهو الأكثر شهرة عند الغربيين ، وكانوا به أشد احتفالاً وله أكثر تلقفاً ، فطبعه في لندن بالعربية واللاتينية ، وطبع منه في ليبزيغ ما يتعلق منه بخوارزم وبلاد ماوراء النهر والشام ، وطبع في غوتنفن عن افريقية ، وترجمه (رينو وجوبار) الى الفرنسية ، وطبعاه في ثلاثة مجلدات سنة ١٨٨٣ ، والفرنسيون يسمون هذا الكتاب (جغرافية أبي الفداء) ، وان نسخاً مع ترجمتها من هذا الكتاب موجودة في فيينا وباريس ، ويوجد في مكتبة ليدن تحت رقم ٧٢٧ النسخة المخطوطة التي صححها أبو الفداء نفسه من هذا الكتاب حسب ما نقل الدكتور عبد الرحمن حميدة في كتابه أعلام الجغرافيين عند العرب .

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة من (تقويم البلدان) مخطوطة على الصحيفة الأولى منها أبيات من نظم شرف الدين الحسين بن ريان يثني فيها على المؤلِّف والمؤلَّف ، وهي :

كتاب بديع نظمه واختراعه ... وابداعه قد فاق تأليفه الكتبا
تضمن من وصف البلاد غرائبا ... محاسنها كل العقول بها تسبى
وترتيبه في غاية الحسن واضح ... وقد راق حتى خلت ألفاظه الصهبا
فأكرم بمن أبدى وأبدع وضعه ... وفاق به الآفاق والسبعة الشهبا
هو الملك الضرغام ذو الهمة التي ... تعالت على الأفلاك واستعلت القطبا
تراه مجدا في العلوم محصلا ... حريصا عليها مستهاما بها صبا
أقام منار الفضل بعد انهدامه ... وقد كان قبل اليوم إيجابه سلبا
له راحة للناس والجود ترتجى ... فيوم العطا بحرا ويوم السطا حربا
اذا استلت البيض الصوارم في الوغى ... علمنا بأن البرق يستوطن السحبا
وان سار في جيش سرى النصر فوقه ... وأحلل اذ ذاك الجناحين والقلبا
فلا زال منصورا بجد مظفرا ... « يؤيده » ما استوجب المصدر النصبا

عجز البيت السادس للمتنبي في مديحة له في سيف الدولة والبيت بتمامه :

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه ... حريصا عليها مستهاما بها صبا

فجعله ابن ريان في هذا السياق موفقا ، وقوله في آخر بيت ، في العجز (يؤيده) تورية بلقب أبي الفداء السياسي وهو « الملك المؤيد وقد بدأ ابو الفداء كتابه هذا بمدخل كوزموغرافي بعد أن مهد له بمقدمة بين فيها الدافع الى تأليفه ، وهو أنه لم يجد كتابا جغرافيا قبله موفيا بغرضه ، وكان يود لو أن المؤلفين الجغرافيين قبله ذكروا الإحداثيات الجغرافية للمناطق التي يدرسونها ، من طول وعرض ، ولم يهملوا ضبط الأسماء .

ثم يدرس أبو الفداء ، بعد المدخل ، الكرة الأرضية كلها ، على هذا الترتيب .

جزيرة العرب ، مصر ، المغرب ، افريقية الاستوائية ، أسبانيا والجزر الشمالية ، بلاد الشام ، بلاد ما بين النهرين ، خوزستان ، فارس ، سجستان ، البنجاب ، الهند والصين ، الجزر الأندونيسية وبحر الصين ، أرمينية ، القفقاس ، ايران الشمالية ، أقاليم الخزر ، خراسان ، طخارستان (وهو اقليم يقع اليوم في كل من ايران الشمالية الشرقية وجمهورية تركمانستان السوفييتية) . خوارزم وبلاد ما وراء النهر (أي شرقي آموداريا) .

وخطة أبي الفداء في ذكر هذه الفصول تشمل جزأين :

فالأول : نظرة اجمالية للمنطقة ، وصف حدودها وتضاريسها وأقسامها السياسية وعناصرها العرقية وعاداتها الطريفة ، ويذكر أيضا أبنيتها الأثرية ذات القيمة ، والمسالك المعروفة .

والثاني : جداول تشتمل على هذه الحقول .

١ ـ المصادر التي منها استقى أبوالفداء المعلومات .
٢ ـ درجة طول المدن الرئيسة وعرضها .
٣ ـ الاشارة الى المناخ والاقاليم .

٤ ـ ضبط كتابة الأسماء .
٥ ـ وصف موجز خاطف لكل مدينة .

ويرى الدكتور عبد الرحمن حميدة (وهو رئيس قسم الجغرافية في جامعة دمشق) أن هذه الجداول هي أعظم شيء في كتاب أبي الفداء ، وهي التي أحلته المقام السامي عند علماء الغرب ، ويقول : إن أبا الفداء استقى هذا التنظيم الجدولي من طبيب عربي ظهر في القرن العاشر الميلادي وهو (ابن جزلة) وطبقه أبوالفداء على الجغرافيا « فكان مبدعا حقا ورائدا ذا أصالة » .

وكان « حاجي خليفة » قد ميّز (تقويم البلدان) هذا عن أمثاله من الكتب الجغرافية ، ككتاب ابن حوقل والشريف الإدريسي وابن خرداذبة ، وغيرهم ، وميزه أيضا عن الكتب المؤلفة في تصحيح الأسماء ككتاب الأنساب للسمعاني والمشترك لياقوت ومزيل الارتياب ، والفيصل ، وجميعها لم يشتمل إلا على القليل بينما كان كتاب أبي الفداء محيطا بما سبقه من كتب في هذا الفن .

وأما كتاب أبي الفداء (الكُنّاش) فهو مجلدات كثيرة ذكره الخفاجي ، ولم يطبع بعد ، والمجلد . الأول موجود في دار الكتب المصرية وقد كتب على أغلب كراساته :

« بلغ مقابلة بين يدي مؤلفه أدام الله أيامه » ، وبظهر الورقة الأولى منه خط صاحب (كشف الظنون) حاجي خليفة المتوفى بالقسطنطينية سنة ١٠٦٧هـ .

وأول الكتاب « الحمد لله الذي ليس لعلمه غاية ، ولا لجوده نهاية ... » ثم ... «قال مؤلفه : هذا كتاب كناش مشتمل على عدة كتب : الكتاب الأول في النحو .. » وقال في آخره :

« وكان الفراغ من جمعه وتأليفه في العشر الأول من شعبان سنة ٧٢٧هـ . ومعنى (كُنَّاش) الأصل الجامع لعدة فروع » .

وأما كتاب أبي الفداء « العروض والأطوال » فيبحث في بعد البلدان الأقصى عن خط الاستواء . وأما « نظم الحاوي » ؛ فالحاوي كتاب فروع معتبر عند السادة الشافعية ، وأبو الفداء شافعي ، والحاوي كتاب وجيز اللفظ ، بسيط المعاني ، مهذب المباني ، حسن التأليف والترتيب ، كما هو جيد التفصيل والتبويب ، وقد نظمه غير رجل في الملّة ، منهم أبو الفداء ، وقد شرح منظومته الحاويَّة القاضي البارزي الحموي المتوفي سنة ٧٣٨هـ .

وباقي كتب أبي الفداء مخطوط حتى اليوم ، وبعضها لم يجمع على ذكره أصحاب التراجم ولكن ذكره علماء أفراد كابن الشحنة الذي ذكر له « نوادر العلوم » .

وكتابه « التبر المسبوك في تواريخ الملوك » فيه تاريخ المماليك الترك والجراكسة سلاطين مصر والشام ، وقالت فهرسة دار الكتب المصرية انه يبتدىء بسلطنة شمس الملوك دقماق السلجوقي المتوفي سنة ٤٩٩هـ .

هذا ولأبي الفداء بلاء في الحرب وجهاد الصليبيين ، فقد حضر حصار حصن

المرقب سنة ٦٨٤هـ وسنه لا تتجاوز الثانية عشرة وكان مع والده في جيش سيف الدين قلاوون ، وقد انتصر المسلمون يومئذ وكان يوما مشهودا ، كما اشترك أبو الفداء ، في السنة نفسها ، في حصار طرابلس الشام مع السلطان قلاوون وكان أبوالفداء بصحبة والده وابن عمه الملك المظفر ملك حماة وقد انتصر المسلمون أيضا يومئذ وطردوا الافرنج عن طرابلس .

وتوالت حروب أبي الفداء مع العساكر المصرية القلاوونية في الشام وتركية ، كما تصدى للتتار سنة ٧٠٢هـ في الشام وهزمهم ومن معه من القواد هزيمة منكرة .

وقد كان عهد أبي الفداء ـ ملكا ـ في حماة عهد ازدهار علمي وأدبي . فاستحضر العلماء من شتى البلاد ، فجاءه منهم كثيرون منهم ابن مالك الذي ألف في حماة ألفيته المشهورة في النحو ، المعروفة اليوم بألفية ابن مالك وأولها .

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ... واسم وفعل ثم حرف الكلم

قال ابن الوردي : « أخبرني شيخنا قاضي القضاة شرف الدين هبة الله البارزى المتوفى بحماة سنة ٧٣٨ قال : نظم الشيخ جمال الدين الخلاصة (الألفية) بحماة برسم اشتغالي فيها وكنت شابا وخدمته ، ولقد رأيت بركة خدمتي له .»

وقال المقري صاحب نفح الطيب : « تصدر ابن مالك في حماة مدة » .

وقال العجيبي التلمساني المغربي سنة احدى وثمانين وسبعمائة : « ذكر لي من أثق بقوله انه صنفها برسم القاضي شرف الدين بن هبة الله البارزي » . وقال شمس الدين أبوالخير محمد الجزري في طبقات القراء : « نظم ابن مالك الخلاصة (الألفية) بحماة للشيخ شرف الدين البارزي ، ولابن الوردي إجازة بقراءة الألفية عليه الى القاضي شهاب الدين أحمد بن الريّان ، وان هبة الله البارزي أجاز ابن الوردي بالخلاصة (الألفية)عن ناظمها . »

ويذكر الأستاذ حسان العظم رحمه الله في بحث له عن حماة في عصر أبي الفداء أن ابن مالك نظم الألفية في جامع (القاق) بحماة ، ويطلق عليه الحمويون جامع (القان) ، ويظن الأستاذ إحسان العظم انه كان موجودا بالقرب من دار البارزي (أي أسفل الباشورة قرب متحف حماة حيث دور أبي الفداء) .

وممن وفد على أبي الفداء بحماة فعاش في رحابه وجرى في ركابه جمال الدين ابن نباتة المصري الأديب العلامة المشهور ، وألف في حماة لأبي الفداء عظام كتبه المعروفة المشهورة الآن ؛ وهي : « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » ، وكتاب « سجع المطوّق » وكتاب « سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون » وكتاب «الفاضل في انشاء القاضي الفاضل » وكتاب «زهر المنثور » وكتاب «شعائر البيت التقوي » (وهو بيت ملك أبي الفداء) ورسالة السيف والقلم ، وجمع مدائحه في أبي الفداء في ديوان سماه (المؤيدات) ، ومن قوله له فيه :

لا غرو أن سليت عن ... بلوى حشاي الذاكرة
فلقد وجدت ديار ملـ ... ـك بالسعادة عامرة
قهرت « حماة » لي العدا ... « فحماة » عندي « القاهرة »

ويالها من تورية هنا بديعة .

وقال أيضا في حاله بحماة :

كلما كنت في حماة على خير موطن
أجد الخير والندى « فحماتي تحبني »

وجاء من مصر أيضا الى ديار أبي الفداء الشاعر المشهور يومئذ محمد بن علي ابن محمد ، شمس الدين ، أبوعبد الله المعروف بابن طرطير ، وكان يتردد بين دمشق وحماة ثم مات بحماة سنة ٧٦٢هـ .

ووفد خلق كثير من العلماء والأدباء الى حماة يفسح لهم ملكها العلامة كل مكان ويستقبلهم بكل سرور ورعاية ، من هؤلاء الأبهري وابن خطيب الدهشة الفيومي صاحب معجم (المصباح المنير) ، وصفي الدين الحلي الذي رثى أبا الفداء لما مات بتخميس نونية ابن زيدون المشهورة ، وهذا مقطع منها فيه ذكر العاصي والقصر والمرقب اللذين بناهما أبو الفداء قرب جامعه الموجود حتى الآن .

اذا ذكرت حمى العاصي وملعبه والقصر والقبة العليا بمرقبه
أقول والقلب سار في تلهبه يا ساري البرق غاد القصر واسق به
من كان صرف الهوى والود يسقينا

ونود أن نشير الى أن شهرة ابن تيمية رحمه الله يعود أكثرها الى مدينة حماة ، لأنه منها وجه اليه سؤال خطير يومئذ في عام ٦٩٨هـ (في زمن أبي الفداء) وهو :

ـ ما قول السادة الفقهاء أئمة الدين في آيات الصفات كقوله تعالى في سورة طه : « **الرحمن على العرش استوى** » وقوله في سورة يونس والرعد والفرقان والسجدة والحديد « **ثم استوى على العرش** » وقوله في سورة فصلت : « **ثم استوى الى السماء وهي دخان** » الى غير ذلك من الآيات ، وأحاديث الصفات كقوله صلى الله عليه وسلم : « قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن » وقوله : « يضع الجبار قدمه في النار » الى غير ذلك وما قالت العلماء فيه ، وابسطوا القول في ذلك مأجورين .

فأجاب الشيخ ابن تيمية على ذلك ، وأصدر « الفتوى الحموية الصغرى » ثم « الفتوى الحموية الكبرى » وجرى له ما جرى من المحنة بسبب آرائه وتطبيق شهرته الآفاق وموته أخيرا في قلعة دمشق ، رحمه الله .

وقد توفي الملك العالم أبو الفداء في الثالث والعشرين من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وقبره في جامعه الموجود حتى الآن واسمه جامع أبي الفداء ، والعامة تسميه (جامع الحيايا) للنقوش الحجرية البارزة التي فيه وتشبه الحيَّات . وللأستاذ كامل شحادة الملحق الفني في مديرية الآثار بمدينة حماة بحث ضاف أثري في هذا الجامع وفي المقابر الأيوبية التقوية خارجه ، وفي ضريح أبي الفداء ، وفي سائر آثار ملك حماة العمرانية .



للأستاذ / عمر حافظ سليم عاصي

إن طريق الايمان بالله سبحانه طريق طويل ، وهو مع طوله هذا ليس مفروشا بالورود والرياحين وانما هو محفوف بالشدائد مملوء بالمتاعب .

وهذا هو قدر المؤمنين الذين رضوا بالله ربّا وبالاسلام دينا وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا ورسولا .

وصدق الله العظيم إذ يقول : **(ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ○ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)** ١ـ٣ / العنكبوت .

والناس تجاه هذه الشدائد التي يمتحنهم الله بها ينقسمون الى فريقين : فريق يرضى ويتحمل ويصبر وفريق يسخط ويضعف وييأس ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط .

وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذ يقول : « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » رواه الترمذي وقال : حديث حسن وفي حديث من احاديثه التى لا ينطق فيها عن الهوى بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشدائد والفتن

والأهوال والمكاره التي تحيط بكل مؤمن مخلص لله في إيمانه .

يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ، ومنافق يبغضه ، وكافر يقاتله ، وشيطان يضله ، ونفس تنازعه » أخرجه ابو بكر بن لال من حديث أنس . وأود في هذا المقام أن أتعرض لكل واحدة من هذه الشدائد بشيء من الوضوح والتفصيل حتى نقف جميعا على خطرها ونحاول اتقاء شرها .

● ـ مؤمن يحسده :

فالحسد آفة من آفات القلب اذا لم يتخلص المؤمن منها فقد تذهب بايمانه ، مثل ما يحدث في عالم النبات اذا لم يتطهر من الآفات والحشرات فانها تجعله يذبل شيئا فشيئا حتى تقضي عليه .

ولقد بيّن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك حين قال في حديثه الشريف :

« دب إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد ، والبغضاء هي الحالقة ، أما اني لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » رواه البيهقي .

ويقول ايضا : « ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » رواه الترمذي واحمد

ذلك فضلا عن ان الحسد يتعب صاحبه في دنياه فيجعله في تفكير دائم وهم لا ينقطع حيث ينظر الى غيره من الذين أعطاهم الله من متع الحياة فيقول في نفسه : لماذا أعطى الله هؤلاء ولم يعطني ؟ لماذا أنعم الله على هؤلاء ولم ينعم عليّ ؟ وبذلك يعيش قلقا حزينا . بل يصل الأمر بالحاسد أحيانا الى أن يكفر بالله « نعوذ بالله من ذلك ».

وهكذا نجد أن الحسد مرض فاتك له عواقبه الوخيمة واضراره الجسيمة التي قد تذهب بايمان المؤمن ، بل انه يهبط بصاحبه ويقوده الى ارتكاب الجريمة في بعض الأحيان .

واصدق دليل على ذلك أن أول جريمة قتل ارتكبت على وجه الارض كان سببها الحسد ، وقد وقعت تلك الجريمة بين ولدي آدم (**قابيل وهابيل**) حيث طوعت لقابيل نفسه أن يقتل أخاه (هابيل) فقتله حقدا وحسدا عليه ، وقد قص القرآن الكريم تلك القصة حيث قال تعالى :

(**واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ○ لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يديّ اليك لاقتلك إني اخاف الله رب العالمين ○ إني اريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ○ فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين**) المائدة/٢٧ـ٣٠

ويرى الإمام الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » أن اسباب الحسد تتمثل فيما يأتي :

١ ـ **العداوة والبغضاء** : وهذا اشد اسباب الحسد ، فإن من آذاه شخص بسبب من الاسباب أو خالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد . والحقد يقتضي التشفي والانتقام ، وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما .

٢ ـ **التعزز** : وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره ، فاذا اصاب بعض امثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبرّ عليه ، وهو لا يطيق تكبّره ، ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه .

٣ ـ **الكبد** : وهو ان يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له ، فاذا نال نعمة خاف أن لا يتحمل تكبره ويترفع عن متابعته أو ربما يتشوف الى مساواته .

٤ ـ **التعجب** : كما أخبرنا الله تعالى عن الأمم السابقة اذ قالوا : (**ما أنتم إلا بشر مثلنا**) يس/ ١٥ . (**فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا**) المؤمنون/ ٤٧ . فتعجبوا أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم .

٥ ـ **الخوف من فوت المقصد** : وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد ، فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له من الانفراد بمقصوده .

٦ ـ **حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه** : وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون ـ اذا غلب عليه حب الثناء من أنه وحيد الدهر وفريد العصر وأنه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال نعمته .

٧ ـ **خبث النفس** : وشحها بالخير لعباد الله تعالى ، فإذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى ، أنعم الله عليه . يشق ذلك عليه ، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوت مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به . ا.هـ

إلا أن من الحسد نوعا محمودا يكون في موضعين ذكرهما الرسول في حديثه حين قال : لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله مالا فهو ينفقه في الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواه ابن عبد البر النمري في كتابه بهجة المجالس .

● ـ ومنافق يبغضه ●

اهل النفاق موجودون في كل زمان ومكان ، ولقد ابتلي بهم المؤمنون في كل عصر من عصور الدعوة الاسلامية بل إن الرسول نفسه عانى منهم كثيرا فقد دبّروا له الفتن والمكائد ونكثوا معه العهود . بل تفاقم خطرهم وامتد كيدهم الى طعن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عرضه وشرفه حيث

رموا زوجه أمّ المؤمنين عائشة بالزنا فيما يعرف بحادث الإفك ، وقد نزل الوحي من فوق سبع سموات ببراءتها مما رُميت به .

قال تعالى :(**ان الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ○ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**) الآيات من ١١ـ١٢/ النور .

وكان الذي تولى كبر هذا الحادث وقيادة المنافقين في إذاعة أنبائه الكاذبة رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وذلك نتيجة الحقد والحسد والكيد للدعوة ولصاحب الدعوة .

لذلك فان خطر المنافقين هو اشد واعظم من خطر أعداء الاسلام من الكفار والمشركين من جهة أن الكفار أمرهم ظاهر وكفرهم بَيّن أما هؤلاء المنافقون فانهم يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإيمان .

ومن رحمة الله سبحانه بعباده المؤمنين أنه لم يتركهم فريسة لنفاق المنافقين ، وانما حسم الامر فبيّن صفاتهم وسماتهم حتى يكون المؤمنون على علم بهم فيتقوا شرهم ويأمنوا بوائقهم .

قال تعالى في سورة البقرة : (**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ○ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ○ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ○ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون ○ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ○ واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ○ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ○ الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون**) ٨ـ١٥/ البقرة .

ومن شدة خطرهم اختصهم الله سبحانه بسورة كاملة في القرآن الكريم هي « سورة المنافقون ».

ثم بعد ذلك نجد أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد بيّن صفاتهم بعض أحاديثه الشريفة . يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ثلاث من كُنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم : من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ». رواه ابو يعلي .

ويقول الرسول ايضا : « اربع من من كُنّ فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر ». رواه احمد

كما يقول عليه الصلاة والسلام : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر »

رواه البخاري ومسلم .

○ ـ وكافر يقاتله ○

وهذا هو شأن الكفار منذ أن خلق الله البشرية والى يومنا هذا ، وهذه هي طبيعتهم ، يكيدون للمؤمنين برسالات الله حسدا من عند أنفسهم ويقاتلونهم حقدا عليهم .

لقد وقفوا من كل الأنبياء موقف المعاندين المستهزئين ، قال تعالى : **(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا)** ٣١/الفرقان .

كما أنهم تعرضوا بالايذاء والتعذيب لكل أتباع الأنبياء عندما كانوا قلة مستضعفين وحسبنا أن نستدل على صدق ذلك بموقف الكفار من محمد ودعوته ، وموقفهم من الذين اتبعوا محمدا ، وآمنوا بدعوته .

○ موقف الكفار من محمد ودعوته ○

لقد وقف هؤلاء الكفار من دعوة «محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ موقف المعاندين المكذبين ، ولم يكتفوا بالعناد والتكذيب فحسب ، وإنما دبّروا العديد من المحاولات لقتل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما أنهم كانوا يتعرضون له كثيرا بالسب واللعن والإيذاء . ونستشهد على ذلك بما حدث منهم في الطائف يوم ذهب اليها الرسول كي يدعو أهلها الى عبادة الله الواحد ونبذ عبادة الأصنام والأوثان .

لقد أغروا به سفهاءهم وصبيانهم فخرجوا يرمونه بالحجارة ويتابعونه بالسب والشتم ، فاذا به يأوي الى بستان هناك يستظل به ثم يدعو الله قائلا :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربي . الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٢ ص ٦١ طبعة بيروت لبنان

كما نستشهد على كيد الكفار للرسول بما حدث منهم يوم أن علموا أنه مهاجر من مكة الى المدينة فقد اجتمعوا في دار الندوة كي يضعوا خطة لقتله والقضاء عليه ، وأخذوا يتشاورون فيما يصنعون بأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاجتمع رأيهم أخيرا على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ثم يعطى كل منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، كي لا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعا ، وضربوا لذلك ميعاد يوم معلوم فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمره بالهجرة وينهاه أن ينام في مضجعه تلك الليلة » سيرة ابن هشام

١/ ٣٠٤ .

وقد أعلم الله رسوله بما حدث في ذلك الاجتماع حيث قال : « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**) ٣٠/الأنفال .
وغير ذلك كثير مما لا قاه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أذى الكفار . ولكن الله نجاه بفضله من كيدهم وشرهم وكتب لدعوته البقاء ولكيدهم الفشل والفناء .

○ موقف الكفار من أصحاب محمد

كما تعرض أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للإيذاء والتعذيب من جانب هؤلاء الكفار : (**فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين**) آل عمران/ ١٤٦ .
ـ فهذا بلال بن رباح ـ العبد الحبشي الذي أصبح مؤذن الرسول ـ عندما آمن برسالة محمد استعمل معه الكفار العذاب ألوانا فكانوا يأتون به في حر الظهيرة فيطرحونه على ظهره ويضعون الأحجار على صدره في سبيل أن يكفر بدعوة محمد ولكنه يأبى ويظل يردد : أحد ، أحد .
★ وهذا سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ يسمع عن دعوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيؤمن بها ، فتعلم أمه نبأ اسلامه ، فتستعمل معه العديد من المحاولات كي يرجع الى دين آبائه وأجداده ، حتى أنها خيرته بين أن يكفر بمحمد أو أن تمتنع عن الطعام والشراب فأبى أن يكفر فامتنعت عن تناول الطعام والشراب أكثر من يوم ، ولما رأى سعد أن أمه قد أجهدها التعب ، وأصابها الهزال قال لها : يا أمي والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا على أن أرجع عن دين محمد ما فعلت فكلي واشربي » .
★ وهذا عمار بن ياسر وأسرته ـ رضي الله عنهم ـ يعذبون لأنهم آمنوا بدعوة محمد ، ويمر بهم الرسول ذات يوم فيجدهم يعذبون فيقول لهم : «صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة » سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٢ طبعة بيروت . لبنان .
★ وهذه سمية أم عمار بن ياسر كانت تعمل خادمة عند أُبَيّ بن خلف رأس الكفر ، وما أن علمت بدعوة محمد حتى آمنت به ، فاستعمل معها كافة أنواع التعذيب حتى يرجعها عن ذلك الدين الجديد لدرجة أنه ـ كما يروى ـ كان يكويها بالحديد المحمي بالنار على جسمها ، وهي المرأة الضعيفة ، ويعلم الرسول بذلك فيبعث اليها من يقول لها : «يا سمية محمد يقرئك السلام ويقول لك : انطقي بلسانك بكلمة الكفر ما دام قلبك مطمئنا بالايمان » ولكن سمية تأبى ذلك وترد على الرسول قائلة : «والله لن أنجس لساني بكلمة الكفر بعد أن طهره الله منها » .

○ ـ وشيطان يضله ○

فلقد أخذ الشيطان عهدا على نفسه

باغواء بني آدم واضلالهم وذلك منذ أن طرده الله من الجنة : **(قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين)** ٨٢ و ٨٣/ص . **(قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)** ١٦ و١٧/الأعراف .

وهو لا ينام عن ذلك ، فلقد سئل الحسن فقيل له : يا أبا سعيد : أينام الشيطان فتبسم وقال : لو نام لاسترحنا ، بل انه يسلك طرقا مختلفة ويدخل من مداخل متعددة إن أغلق مدخل منها دخل من غيره ، يؤكد لنا ذلك ويوضحه ما رواه أحمد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه ، فقعد له بطريق الاسلام فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال : فعصاه وأسلم ، قال : وقعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتدع أرضك وسماءك ، وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال : تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، قال : فعصاه وجاهد .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » .

ومداخل ابليس أكثر من أن تحصى ومنها كما جاء في كتاب «احياء علوم الدين » للإمام الغزالي :
الغضب ـ الشهوة ـ العجلة ـ الحسد ـ البخل ـ الكبر ـ سوء الظن بالمسلمين ... الخ .
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد » متفق عليه .

وهكذا نجد أن هذه الشدة تفوق كل الشدائد ، وأن الشيطان هو العدو الأكبر للمؤمنين . ولذلك فقد أمر الله بالحذر منه فقال : **(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم)** ٢١/النور . كما أمر الله عباده المؤمنين أن يتخذوا هذا الشيطان عدوا وأن يحترسوا منه أشد الاحتراس فقال **(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)** ٦/فاطر . وفي استطاعة كل مؤمن مخلص أن يسد تلك المداخل التي يدخل منها الشيطان ، وأن يقي نفسه من شروره ، وذلك عن طريق تقوى الله تعالى ، والاستعاذة به ، ودوام ذكره ، ومراقبته وحسن عبادته قال تعالى : **(وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم . إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من**

الشيطـان تـذكـروا فـاذا هـم مبصرون) ٢٠٠و٢٠١/الأعراف .

○ ونفس تنازعه ○

وهذه الشدة من أخطر الشدائد التي تحيط بالمؤمن ، وذلك لأن نفس الانسان كثيرا ما تقوده الى مواطن الشر والرذيلة وتورده موارد الهلاك وتنأى به عن مواطن الفضيلة ، ولا يسلم من شر النفس إلا من عصمه الله تعالى كما ورد ذلك على لسان يوسف في القرآن الكريم : **(وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)** ٥٣/سورة يوسف .

كما أن نفس الانسان التي تشتهي وتطوع وتسول له فعل الفاحشة ، ونستطيع أن نجد البرهان على ذلك فيما قصه القـرآن الكريم عن السابقين ، فقد جاء فيه أن النفس هي التي طوعت لقابيل قتل أخيه هابيل ، قال تعالى : **(فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)** ٣٠/المائدة .

كما أنها أيضا هي التي سولت لاخوة يوسف أن يفعلوا ما فعلوا به من أخذه والقائه في غيابة الجب ، قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : **(قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبـر جميـل والله المستعـان على مـا تصفون)** ١٨/يوسف .

○ رضا الله في مخالفة النفس ○

والنـاس تجاه نـزعـات النفس ينقسمون الى فريقين : فريق يعرف لنفسه حقها فهـو يترفـع بها عن الفاحشة وينأى بها عن الرذيلة ، وفريق يهمل في حق نفسه فهو لا يستطيع مقاومة نزعاتها ووساوسها وهذا هو الظلم بعينه .

وقد وصف الله تعالى الفريق الأول بالفلاح كما وصف الفريق الآخـر بالخيبة .

قال تعالى : **(قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها)** ٩و١٠/الشمس .

والمؤمن الذي رضى بالله ربّا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا يؤدب نفسه أولا بأول ولا يهمل تـأديبها فهـو يخالفها عندما تأمره بما نهى الله عنه تنفيذا لقول الشاعر :

وخـالف النفس والشيطـان واعصهمـا
وان همـا محضـاك النصـح فـاتـهـم

ولا تطـع منهمـا خصمـا ولا حكمـا
فـأنـت تـعلـم كيـد الخصـم والحكـم

والنفس كـالطفل ان تهمله شب عـلى
حـب الـرضـاع وان تفطمـه ينفطـم

وبعد :

فان الشدائد تحيط بالمؤمن المخلص لله في إيمانه من كل جانب ، وهي في عصرنا هذا أشد ممـا سبقه من عصور ، وذلك نظرا لكثرة المغريات والمفاتن ونظرا لحقد الأعداء عـلى الاسلام وكيدهم للمؤمنين .

فعليـك أيها المؤمن أن تـواجه المصاعب بثبات ويقين وأن تستعين عليها بالله وعليك ألا تلين أو تضعف في مواجهة الحاقدين والحاسدين والكفار والمنافقين وعليك ألا تستسلم لوساوس الشيطان والنفس .



للأستاذ / محمد عبد العزيز البتشتي

يزداد نشاط المبشرين المسيحيين في بلاد العالم الثالث متخذين من تخلف شعوبها ، وجهلها بحضارة الاسلام وسيلة ينفذون منها إلى تسميم عقول الشباب والضعفاء ..

في أندونيسيا طرقوا كل باب ، وسلكوا كل الوسائل ليحولوا ضعفاء المسلمين عن الاسلام .. أفلحوا في أقل من القليل ، تحت وطأة الفقر والمرض .. وكان في المقابل أن كثيرا من البوذيين الذين اعتنقوا المسيحية ، بعد قليل تحولوا عنها إلى الاسلام .. كانت دراستهم للاسلام دراسة دقيقة عميقة ، فاعتنقوه ، وأصبحوا دعاة له ..

باباسيون رئيس المسلمين الصينيين !!!

دعاني طلبتي في كلية « التربية » بقاروت (إحدى مدن محافظة باندونج بأندونيسيا) لأصاحبهم في الاستماع إلى محاضرة يلقيها « باباسيون رئيس المسلمين الصينيين » في مدينة (تشك ملايا) ويقومون بترجمة محاضرته ..

تحدث باباسيون ـ وهو شخصية مهيبة قوية ـ وكان بوذيا واعتنق المسيحية ، ثم تحول عنها إلى الاسلام ـ حديثا طويلا قال فيه :

الألوهية ؟!

أولا : بحثت في الديانات ـ كل الديانات ـ فوجدت آلهة مختلفة : إلها للخير ، وآخر للشر ، إلها للجمال ، وآخر للرياح ، إلها للنور وآخر للظلام ، آلهة تحل في الحيوان والانسان ، وآلهة تهيم في الأدغال والأحراش ، وآلهة تولد فتدل عليها النجوم والكواكب ، تدخل الآلهة الهياكل فتقوم الأصنام لتسجد تحت قدميها !!!

ولكن الاسلام حين يتحدث عن الألوهية ، يخاطب العقل والقلب معا : فالله رب كل شيء (**رب العالمين**) (**الذي خلق السموات والأرض وما بينهما**) أحاط علمه بكل شيء (**إن الله بكل شيء عليم**) . إله واحد لا يشاركه أحد في ألوهيته (**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**) .. قريب إلى عبده ، بلا وساطة ولا معين (**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**) .. عقيدة كاملة صححت عقيدة الهند بما كانت تطويه معابدها من أرباب يلحق بها الحيوان والأوثان ، وطمست كل عقائد اليونان في صور الاله المتعددة،عقيدة أزالت الشك من قلوب العاقلين ، وأقامت الصدق في عقول المترددين ، فانشرح لها صدري ، وانفتح لها قلبي ، وصدق بها عقلي ، واندفع فؤادي يعلن في فم الدنيا ويشهد : أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا نبيه الصادق ورسوله الأمين .

أسلوب الحياة عند المسلمين !!

ثانيا : رأيت أسلوب الحياة الذي إختطه الاسلام لم يسلكه أي دين قبله ، أو أية حركة إصلاحية بعده ، مما تدعي أنها حركات الاصلاح والتقدم الفكري ، والرقي الاجتماعي .. وإنما يرتكزهذا الأسلوب على دعامتين .

الدعامة الأولى في الاسلام : توحيد الإله في عبادة الواحد الأحد ليجمع الخلق كلهم على أمر واحد (**لا إله إلا الله**) سلطة عليا تتعلق بها كل النفوس ، وتهفو إليها كل الخواطر ..

الدعامة الثانية : تغرس الطهارة في نفوس المؤمنين بلا إله إلا الله فتربط المسلم بربه رباطا يرى (الله) في كل شيء فلا يخشى أحدا غير الله ، ولا يتعلق بأحد غير الله ، ولا ينشد أحدا غير الله .. الخير كله من الله لا شريك له ، والشر كله في البعد عن الطريق التي رسمتها تعاليم الاسلام ..

العبد الذي ارتبط بربه هذا الرباط وآمن بربه هذا الايمان ، واعتمد عليه هذا الاعتماد ، وتصرف في حياته بهذا القانون الشامل لكل نظم الحياة يصبح فردا

سليما نقيا مخلصا ، لا يعتريه شك ، ولا تخالطه ظنون ، يضحي بنفسه في سبيل إعلاء دينه ، ويرتبط بغيره من المسلمين رباط أخوة صادقة ، يمثلها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) .. أخرجه البخاري .

كيف يربي الشباب ؟!!

الاسلام تعهد الانسان من المهد إلى اللحد .. بل تعهده قبل أن يولد حين حث الشاب على اختيار الزوجة الصالحة ليربيه تربية سليمة .. يغرس فيه الأخلاق الكريمة . فيعلمه كيف يأكل ، وكيف ينام ، وكيف يعامل غيره .. ويُعوِّده الصلاة من نعومة أظفاره ، والصدق منذ أن يعرف نفسه ، وحسن المعاملة في ظعنه وإقامته .. بل لا يتركه حتى عند قضاء حاجته .. ولا ينطق إلا حقا . وإذا حاد الشاب عن الطريق أرجعه إلى الصواب بلطف ودعة ..

فقد ورد عن أبي أمامة قال : « إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:يا رسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا مه،مه،فقال: أدنه فدنا منه قريبا ، قال:فجلس،قال:أتحبه لأمك ؟ قال لا والله جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال:أفتحبه لابنتك ؟ قال:لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال:أفتحبه لأختك ؟ قال:لا والله جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال:أفتحبه لعمتك ؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال :أفتحبه لخالتك؟قال: لا والله جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال: فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه .
فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء » رواه أحمد في مسنده .

قوة المسلمين !!!

ثالثا : يقول باباسيون : قرأت تاريخ الحروب قديمها وحديثها : معارك إسبرطة وأثينا ، واسكندر وقيصر ، والفرس والروم ، والحروب الصليبية والحرب العالمية الأولى والثانية .. المنتصر دائما صاحب الجيش الجرار ، والسلاح الفتاك ، من تمخر أساطيله البحار ، وتجوب ألْويته السهول والجبال ،.. من كثر عدده وقويت عدته .. لكن معارك المسلمين تقلب موازين الحروب رأسا على عقب .. في أول معركة يخوضها نبي الاسلام ينتصر فيها على عدوه انتصارا لم يسجل التاريخ منذ خط قلمه في صفحات الدنيا أروع منه !!!

يخرج محمد وأصحابه ليعترض قافلة لقريش تحوى ألف بعير مثقلة بالعروض والأموال .. يقودها أبو سفيان ومعه أربعون رجلا ، وتسمع مكة بتعرض المسلمين لقافلتهم ، فيخرج أشرافها وشبابها يغلون حماسا . ويمتطون الصعب ليدافعوا

عن أموالهم ، وينتقموا لكرامتهم .. وتهرب القافلة من المسلمين .. ويعلن أبو جهل في كبرياء المغرور : (إننا لن نرجع حتى نرد بدرا فنقيم ثلاثا ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع العرب بنا وبسيرنا وجمعنا فلا يزالون يها بوننا أبدا !!)
وعند بدر يتقابل الفريقان : المسلمون في ثلاثمائة وفارسين خرجوا لاعتراض قافلة تحمل عروضا وتجارة ، لم يستعدوا لحرب وقتال .. المشركون في نحو ألف ومائة فارس خرجوا متأهبين لحرب أعدوا لها عدتها من خيل ورماح ، وقيان تغني ، وطبول تدق .. تبدأ المعركة بين فريقين غير متكافئين عددا وعدة .. وفي ساعات من عمر الزمن يلتقي المؤمنون في قلتهم ، مع المشركين بكثرتهم في معركة طاحنة .. تنتهي بقتل سبعين صنديدا من رؤوس الكفر بمكة ، يشربون كؤوس الردى صاغرين ، ويسقط سبعون آخرون في ذل الأسر وعار المهانة !! وتفر البقية من قريش تبعثرهم رياح الهزيمة في وديان الجبال ، وفجاج الصحراء ، تروى لمن خلفهم كيف تهاوت هيبتهم ، وتحطم كبرياؤهم !!! هذا لا شك نصر نبي مؤيد من ربه ، لا قائد متمرن بحربه !!!

الحياة الاقتصادية عند المسلمين !!!

رابعا : يقول باباسيون : « إن آية من كلام الله تعالى لو طبقها المسلمون تطبيقا عادلا لأصبح المجتمع الاسلامي أعظم وأكمل وأنقى وأطهر مجتمع .. بل لساد الاسلام الدنيا كلها !!
يقول الله تعالى في محكم آياته (**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**) البقرة/٢١٩ والعفو ما زاد عن حاجة أهلك .. فهو يتصور لو أن كل مسلم أمد غيره بما زاد عن حاجته وحاجة أهله لشبع الجائع ، وإكتسى العريان ، وسكن من لا مأوى له ، وأمن الناس على أرواحهم وأولادهم ، ولم يختلس أحد من مال ، ولم يسرق لص في ظلام الليل أو وضح النهار ، وإختفى الحقد من الصدور ، وأحب الناس بعضهم بعضا ، ورفرفت على الشعوب المتناحرة راية الحب والسلام .
لقد طبق المسلمون هذه الآية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين وفد المهاجرون إلى المدينة .. تقاسم الأنصار أموالهم مع المهاجرين ، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين إخاء محبة وإخلاص ، حدا بالمسلمين إلى أن يؤثر أحدهم أخاه بالطعام وهو جائع ، أو بالماء وهو مشرف على الهلاك .. ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه ضيف فأرسل إلى نسائه يطلب منهن طعاما ، فردت كل واحدة منهن تقول : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . فقال صلى الله عليه وسلم لصحابته : من يضيف هذا الليلة ؟ فانطلق به أحد الصحابة إلى بيته ، يقول لزوجته : هل عندك طعام لضيف رسول الله ؟ فأجابته امرأته المؤمنة الصادقة : ليس عندنا إلا قوت الصبيان .. فيرد عليها زوجها المؤمن : علل الأولاد بشيء حتى

يناموا بدون عشاء .. وأكل الضيف حتى شبع ، وناما وأولادهما على الطوى بلا طعام !! فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقابله النبي مبتسما يقول : لقد عجب الله من صنيعكما الليلة !!!
إيثار يعز أن نجده في غير مجتمع المسلمين !!!

عدالة الحكام تسعد الرعية !!

وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سعدت البلاد بحكم الاسلام وعدله ، عم الغنى الناس جميعا .. ولم يجد معاذ بن جبل مبعوث الاسلام في اليمن واحدا يعطيه الزكاة ، مما حدا به أن يبعث بثلث الصدقة إلى عمر في مدينة رسول الله . فأنكر ذلك عمر وقال له : بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس ، وتردها إلى فقرائهم : فقال معاذ : ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدا يأخذه مني .. فلما كان العام التالي . بعث معاذ بنصف الصدقة ، فتراجعا بمثل ذلك . فلما كان العام الثالث ، بعث إليه بها كلها ، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك . فقال معاذ : ما وجدت أحدا يأخذ مني شيئا .. وكلما أظل عدل الاسلام الناس زاد الرخاء وتدفقت الخيرات على الفقراء .. يروي التاريخ : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى واليه بالعراق : « أن أخرج للناس رواتبهم ، ومخصصاتهم . فرد عليه : إني قد أخرجت للناس أعطياتهم ، وقد بقي في بيت المال مال » فكتب إليه عمر : (أن انظر إلى كل من أدان في غير سفه وسرف « أي عليه دين » فاقض عنه) فرد عليه : (إني قد قضيت عنهم ، وبقي في بيت المال مال) .. فكتب عمر يقول له : (أن انظر إلى كل بكر « أي شاب لم يتزوج » ليس له مال فمن شاء أن تزوجه فزوجه ، وأصدق عنه « أي ادفع عنه المهر ») فرد عليه الوالي يقول : (إني قد زوجت كل من وجدت ، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال) ..

هذا هو الاسلام !!!

هذا هو الاسلام كما فهمته ، وكما يجب أن يفهمه الناس جميعا : دين ودنيا ، عقيدة ونظام ، قرآن وسلطان ، رسالة شاملة هادية تحرر الفرد وتكرمه ، وترفه عن المجتمع وتسعده ، يقود البشرية كلها إلى الخير والحق والكمال ..
لهذا حين أدعو إلى الاسلام لا أدعو من فراغ ، وإنما إيمان يشع في النفس قوة التمسك بدين الله .. آليت على نفسي أن أدعو لدين الله .. بدأت بولدي وأهلي فآمنوا والحمد لله .. وهم الآن يشع في قلوبهم نور الايمان ..
اختتم « بابا سيون » محاضرته بعبارات تعتصر ألما وحزنا على حاضر المسلمين ، ضيعوا تعاليم الاسلام فتفرقت بهم السبل .. وسأل الله الهداية والتوفيق .. لعلك عرفت أيها القارىء الكريم لماذا أسلم ؟!..

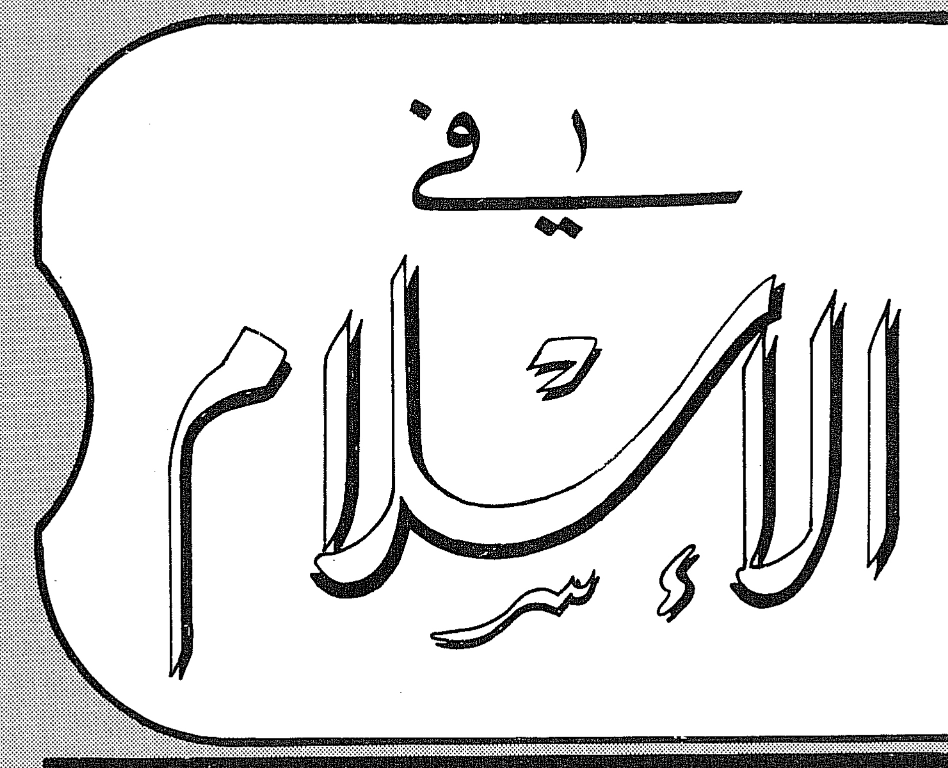
النّظام الاقتصادي

للاستاذ/ محمد عميش

ان السمة البالغة على حضارة هذا العصر وايديولوجياته هي الفكر الاقتصادي وتطوره ، ولقد أدى اختلاف وتناقض النظم الاقتصادية الوضعية الى الحروب الطاحنة والصراعات الدامية ، ومن العجب أن هذه النظم الوضعية تدعي كل منها اهتمامها بسعادة الفرد وصلاح المجتمع في الوقت الذي تتفنن فيه في اختراع أجهزة الدمار وتنفق عليها ما هو كفيل بتغيير شكل الحياة تماما في هذا العصر .

ومن الأسف وكما هي سنة الحياة في انبهار الضعفاء بالأقوياء في كل ما يصدر عنهم خيرا أو شرا فقد ساد الفكر الثقافي في عالمنا العربي والاسلامي ايمان بهذه النظم الوضعية مع اهمال لما بين أيدينا من تراث عقائدي وحضاري وتعصب كامل لما هو سائد في الغرب او الشرق مما اثار مزيدا من الفرقة والبلبلة شرقنا العربي وقد كان المفروض ونحن في دولة دينها الرسمي الاسلام ان نعرف احكام الشريعة السمحة وأن نكون على بينة باعجازها الرائع في تناولها لجميع مشاكل الحياة الا أن هذا الجيل مع الأسف قد ورث الاسلام باعتباره طقوسا وشعائر للتدين .

وقد بدأ الكاتب بعد عرض المقدمة بتمهيد بين فيه معنى كلمة اقتصاد وما هية علم الاقتصاد ، والنظام الاقتصادي ومدى تقدم الدراسات الاقتصادية ثم بين أن



عرض وتحليل : عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

القرآن الكريم والذي يرجع الى اربعة عشر قرنا من الزمن قد جاء بجملة القواعد التي تؤلف فيما بينها جميعا نظرية اقتصادية واضحة في أرفع مستويات الحضارة الفكرية والمادية .

ثم قدم الكاتب بعد ذلك الموضوعات الاتية

١ ـ **المشكلة الاقتصادية** . إن هناك حاجات اساسية للانسان والتي تعتبر مصدرا لوجود حافز أو دافع له على القيام بالنشاط الاقتصادي ، وهناك عدد من التقسيمات لحاجات الانسان جاء بها العلماء والمحدثون بعد أن عرضها الكاتب بين الحاجات الأساسية للانسان في القرآن الكريم ففي سورة طه آية ١١٧ ـ ١١٩ : (**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**) .

٢ ـ **الانتاج** : والانتاج في الاقتصاد عبارة عن خلق المنفعة من حيث أنها لم يكن لها وجود من قبل أو إضافة المنفعة الى السلعة التي تحتوى على قدر معين فيها ، ولقد كان القرآن معجزا وسيظل معجزا حيث لفت النظر الى جميع منابع الثروات في الأرض مثل الانعام والماء الذي يستخدم في الزراعة والبحر الذي نأكل منه لحما

طريا ونستخرج منه الحلى وتبحر فيه الفلك ، والشمس المسخرة والتي تستخدم كمصدر للطاقة والرياح .

وعناصر الانتاج كما يقسمها الاقتصاديون هي الأرض والعمل البشري والمال ، تناول الكاتب كل واحدة منها بالدراسة في ضوء الشريعة الاسلامية .

(أ) الأرض : والمقصود بها كل ما وهبه الله للانسان على وجه البسيطة من تربة صالحة للزراعة وأنهار عذبة وثروات معدنية ومساقط مياه ...الخ .

ولقد وردت فيها آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى :

- في سورة الأعراف آية ١٠ : (**ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش**)
- في سورة غافر آية ٦٤ : (**الله الذي جعل لكم الأرض قرارا**).
- في سورة الجاثية آية ١٣ : (**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا**).
- وفي سورة النمل آية ٦١ : (**أمَّن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون**).

ويبين لنا الله سبحانه وتعالى أهمية وقدر الزراعة ونعمتها على الناس فيقول :

- في سورة عبس : (**فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم**).
- وفي سورة ق آية ٩ ـ ١١ : (**ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج**).
- وفي سورة الشعراء آية ٧ : (**أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم**).
- ثم بين أهمية الصناعة وقدرها في النشاط الاقتصادي وذلك من خلال قوله تعالى :
- في سورة الرعد آية ١٧ : (**ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله**).
- وفي سورة هود آية ٣٧ : (**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**).
- وفي سورة الحديد آية ٢٥ : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**).
- في سورة الأعراف آية ٧٤ : (**تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا**)
- وفي سورة الزخرف آية ١٠ : (**الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون**)
- وفي سورة البقرة آية ١٦٤ : (**والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس**).

وتشير الآيات الكريمة وغيرها من الآيات الى صناعات التعدين والحديد والصيد والسفن والمساكن والمواصلات وغيرها من سبل الحياة ومنافعها ، بحيث نجد الآيات قد شملت جميع ما يتصل بكافة النعم والمنافع التي وهبنا الله سبحانه إياها ووجهها .

(ب) السكان : تؤثر القوى البشرية بصورة كبيرة على الانتاج وذلك لانها تحدد حجم القوى العاملة في المجتمع وعدد ساعات العمل الكائنة ، لهذا تمثل قضية السكان أهمية خاصة في الفكر الاقتصادي .
وعرض الكاتب من خلال حديثه عن السكان لنظرية بالتس التي تصور زيادة السكان في صورة متوالية هندسية ، وتصور تزايد موارد الطعام على شكل متوالية حسابية ثم نقدها كما نقدها الكثير من علماء الاقتصاد ، ثم تكلم عن العلاقة بين حجم القوى العاملة في المجتمع وفرص العمل المتاحة .
وطرق الحديث عن مشكلة الحجم الأمثل للسكان بلانقص أو زيادة قد يضر بعملية الانتاج ، وبين أن الاقتصاد الاسلامي يقوم على وفرة الموارد بحيث نجد أن الله قدر نعما لا تحصى ولا تعد ولا تنتهى ، ولذلك فهو يرفض تحديد النسل ويدعو الى محاربته حيث يقول سبحانه وتعالى :
(ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) الأنعام ـ ١٥١
ويقول نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم :
ـ « تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم » رواه ابو داود والنسائي والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد .
ونادى الكاتب الى التوجه نحو الاهتمام بالمشاريع الضخمة التي تكفل تغيير شكل الحياة لا الى الحديث عن تحديد النسل ومحاربته . فان نعم الله كثيرة وهباته متعددة ومن الأمثلة ما يكفي .

(ج) العمل : فالاسلام دين العمل المتواصل والكد والجهد المنتج ونبي الاسلام أشرف الخلق أجمعين ، قد عمل بيده ورعى الغنم وجمع الحطب وتاجر وسافر وذهب وعاد سواء قبل البعثة أو بعدها .
وذلك لان العمل أحد دعامات الانتاج في المجتمع لأنه كما يعنى بذلك في سبيل انتاج سلع أو خدمات مقابل أجر سواء كان هذا الجهد ذهنيا أو عضليا ، وقد وردت في القرآن الآيات الكثيرة وعلى لسان النبي الأحاديث المتعددة بحيث تضمنت أحكاما شاملة للعمل وتقدير أهميته في المجتمع ومسئوليات العمال وأصحاب الأعمال والدولة .
وعرض الكاتب لدوافع العمل أولا ثم للمبادىء العامة لنظرية العمل في الأمم ، وذلك على الوجه التالي :
أولا :دوافع العمل : وان اجتمعت في التشبث بالبقاء الا أنها تتفرع الى الأسباب التي لا يكون البقاء بغيرها وأسباب البقاء هي أن يجد الانسان طعامه وكساءه

ومأواه حيث تعتبر هذه السلع الاستهلاكية الرئيسية التي لابقاء للانسان بغيرها .
ثانيا : المبادىء العامة لنظرية العمل في الاسلام :
١) **العمل شرف** : فهو يضفى على الانسان ثوب الشرف والكرامة فيقول تعالى في سورة فصلت آية ٣٣ : (**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا**).
ويشمل العمل هنا عموما وفي مقدمته العمل الديني ، أي تنفيذ أحكام الشريعة .
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » رواه احمد والبخاري .
٢) **العمل واجب وعبادة** : كل قادر مطالب في شريعة الاسلام بالسعى والعمل واتقانه وكفى اعطاء الله لنا الدرس الخالد من الصلاة والتي أظهر ما فيها العمل الحركي من وضوء الى قيام ثم ركوع وسجود .
ولنا في مقالة عمر بن الخطاب نمط فلقد قال رضى الله عنه إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة-أى عمل-فان قالوا لا،سقط من عيني
٣) **حرية العمل** : الانطلاق في السعي المشروع للعمل ، سواء كان يدويا أم ذهنيا يقتضي المهارة أم لايقتضيها في مجالاته المختلفة المحددة في شريعة الاسلام ، فكل عمل يبلغ بالانسان غاية فيها نفع وليس منها إضرار بغيره هو حل مباح .
٤) **بذل الجهد في العمل** : وذلك بقوله سبحانه وتعالى (**ولتسئلن عما كنتم تعملون**) النحل ـ ٩٣
وقوله أيضا (**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**) البقرة ـ ٢٨٦ وقوله (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله**) التوبة ـ ١٠٥
٥) **وقت العمل** : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا (متفق عليه)
وهكذا بين الحديث ان للعامل حقه في الراحة وأداء العبادات والقيام بواجباته تجاه كل ناحية .
٦) **حق المرأة في العمل** : لا تعمل المرأة في الاسلام الا للضرورة وذلك واضح من تكليف آدم وحده بالعمل بعد خروجه وحواء من الجنة وفي سورة طه حيث يقول رب العزة (**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**).

(د) رأس المال :

يعتبر رأس المال المورد الرابع في موارد الانتاج ويعبر عن الثروة التي تستخدم في انتاج ثروة اخرى ويقاس رقى الأمم بما تملكه من مال وتكوينها له وعملها على تنميته .
وقد ذكر المال في القرآن ستا وسبعين مرة مما يدل على نظرة الاسلام له بالأهمية والتقدير لآثاره في الحياة .

وفي هذا المجال تكلم الكاتب عن نقاط هامة وذلك على النحو التالي :
١) **المال مال الله** : حيث أن الكون كله لله (**قل لمن ما في السموات والأرض قل لله**) الأنعام ـ ١٢ ويقول تعالى : (**وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**) النور ـ ٣٣ ويقول أيضا : (**لله ما في السموات والأرض**) لقمان ـ ٢٦ وهكذا تتوارد الآيات كثيرة مبينة أن الكون كله لله من أموال ومنافع وغيرها .
٢) **المال وسيلة لا غاية** : فالمال وسيلة ووسيلة للخير وتبادل المنافع وإشباع الحاجات وقد عبر القرآن عن المال بالخير في قوله تعالى : (**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف**) البقرة ـ ١٨٠ ويقول عليه الصلاة والسلام : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رواه احمد .
٣) الملكية الفردية مصونة : وذلك بتسهيل سبل التملك والحصول على المال وبين ذلك قوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم**) النساء ـ ٢٩ .
ويقول الرسول الكريم : « من اقتطع أرضا ظالما ـ وفي رواية لمسلم من اقتطع حق امرىء ظالما لقي الله وهو عليه غضبان » رواه احمد ومسلم . وقد وضع الاسلام قواعد وأصولاً وأحكاما للملكية الفردية وتناولتها أجيال من فقهاء المسلمين بالتفصيل والشرح .

٤) **وظيفة والتزامات الملكية** : ولهذا ما ينظمه ويوضح القواعد والالتزامات بحيث يوجه الى خير المجتمع وصلاحه ومن القواعد المنظمة لحق الملكية ,
١ ـ الملكية وظيفة اجتماعية تهدف أساسا لتحقيق النفع والأغراض المشروعة .
٢ ـ يشجع الاسلام على العمل والكسب والاستثمار ويحارب الفقر والعجز والكسل .
٣ ـ يفرض الاسلام على المالك تأدية الزكاة المفروضة عليه .
٤ ـ الانفاق في سبيل الله للخير العام .
٥ ـ تحريم بقاء المال مكتنزا بدون استثمار
٦ ـ تحريم استخدام المال فيما يلحق الضرر والأذى بالمصلحة العامة .
٧ ـ يمنع صاحب المال من استخدام مكانه في حيازة نفوذ سياسي في تصريف شئون الدولة لمصلحته أو لمصلحة فئة معينة .
٥) طرق كسب المال : وللمال طرق معينة لكسبه تتلخص في :
١ ـ العمل
٢ ـ الميراث
٣ ـ الوصية .
٤ ـ القرض .
٥ ـ الهبة .
٦ ـ العارية .

٧ ـ الصيد .
٨ ـ احياء الموات .
٩ ـ اعطاء الدولة أموالها للرعية .
٦) **أشكال المشروعات** : بين الكاتب الأشكال المختلفة للشركات التي يمكن أن تمارس نشاطها ومنها شركة العنان وشركة الابدان والمضاربة وشركة الوجوه وشركة المعارضة
٧) كراهية تكدس الثروات : لا يحبذ الاسلام على تواجد الثروات في أيدي عدد قليل من الناس لما يؤدي اليه ذلك من افساد وزيادة الفوارق بين الناس .
٨) **ملكية وسائل الانتاج** : التأميم وتوزيع الملكيات وهنا يقرر الاسلام الملكية الجماعية لبعض الموارد الطبيعية الضرورية ويجيز التأميم في بعض الأحيان كما يمكن تحديد الملكية الزراعية .

(٣) **القيمة** : تعبر القيمة في الاقتصاد الاسلامي عن مقدار ما في السلعة من منفعة مع ملاحظة عامل الندرة وقانون العرض والطلب .
ولالقاء الضوء على ما تثيره نظرية القيمة تناول الكاتب بعض الجوانب الهامة والمرتبطة بموضوع القيمة ولذا فقد تعرض للنقاط التالية :
أ ـ **التداول الاستهلاكي** : فالتداول يشير الى انتقال السلع بين الناس بعد انتاجها حتى الى مستهلكها الأخير ، وجاء ذلك في القرآن في مواطن كثيرة عند الحديث عن التجارة ، ولقد ورد من الآيات الكثير أيضا التي يوجه فيها سبحانه عباده الى الانفاق والاستهلاك حيث أنه الغاية النهائية للانتاج ووسيلة لتحقيق الرواج الاقتصادي المنشود .

ب ـ **المنافسة** : يقرر الاسلام المنافسة المشروعة ويحيطها بسياج قوي من دعوته الأخلاقية وذلك لاجادة العمل وتحقيق التعاون المثمر والوصول الى العمل الصالح ويكفي ذكر هنا ، الدين المعاملة ، الدين النصيحة .
ولقد نهى الاسلام وزجر على الخيانة والاثم والغش والكذب والخداع .
ج ـ **التسعير** :من الأمور التي نظر فيها فقهاء المسلمين واختلفوا عليها هل يجوز أو لا يجوز فذهب أقلية منهم الى منعه أخذا بظاهر الحديث ، وقال معظمهم بجوازه وأخرجوا الحديث على أنه لم يكن لحالة عامة وانما هو لحالة خاصة لم ير النبي علاجها إلا بالتسعير .
د ـ **الاحتكار** : الاحتكار حجز سلعة من السلع او جمعها من الأسواق وبيعها بسعر أعلى على المسلمين وفرض السعر المرتفع ولقد نهى عن ذلك رسول الله وجاءت الأحاديث كثيرة منها : « الجالب الى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله » رواه الحاكم . ومنها « لا يحتكر إلا خاطىء » رواه احمد ومسلم وأبو داود والنسائي .

(٤) ـ **التوزيع** :تعتبر مشكلة توزيع الثروة والدخل بين أفراد المجتمع من

أخطر المشاكل في هذا العصر وفي كل عصر ، لذلك اهتم بها الاسلام وأولاها العناية الكافية وفيما يلي بعضا مما جاء من المبادىء الأساسية لنظرية التوزيع الاسلامية .

أ ـ **الأجور** : يقر الاسلام الأجر كوسيلة من وسائل توزيع الثروة ويجب أن يحصل عليه العامل كاملا فور انجاز عمله ، ويمكن في هذا الصدد بيان القواعد التالية :

١ ـ الأجر مكفول لكل عمل : المعروف أنه لا عمل بدون أجر مهما كان صغيرا أو كبيرا والأجر حق للعامل ويقول رب العزة : (**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون**) التين ـ ٦ .

٢ ـ **الحد الأدني للأجور** : يجب أن يحصل العامل على حد معين من الأجر يكفل له تأمين معاشه واشباع حاجاته الأساسية المنصوص عليها في القرآن وكان رسول الله يعطي الآهل حظين والعزب حظا واحدا وفي هذا بيان لحق الانسان في تأمين احتياجاته وكفاية معيشته .

٣ ـ **عدالة الأجور** : بحيث يكون الأجر مساويا للجهد المبذول في العمل المفروض على العامل فيقول تعالى في سورة الأحقاف آية ١٩ : (**ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون**) ويقول أيضا في سورة الاعراف آية ـ ٨٥ : « **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** ». ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته ، رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه » رواه ابن ماجة .

٤ ـ **مسئولية الدولة** : الدولة في الشريعة الاسلامية مسئولة عن :

أ ـ ضمان حد أدنى للأجور يكفل تحقيق الحاجات الأساسية الضرورية للانسان كما جاء واشتمل عليها القرآن وجاءت في أحاديث الرسول .

ب ـ ضمان عدالة الأجور وذلك بحماية العامل من استغلال رب العمل .

ج ـ ضمان استيفاء الأجر : بحيث يحصل العامل عليه كاملا ومناسبا .

وتعتبر القواعد السابقة من المبادىء التي حاربها الاسلام في نظرية الأجور ، والتي تعيب على توفير الجو المناسب للعامل لكي ينطلق وينتج وتزداد رفاهيته بما ينعكس على المجتمع كله بعد ذلك .

ب ـ **الربا** : من أخطر الموضوعات التي تناقش في الاقتصاد الاسلامي بصفة عامة وفي نظر البنوك الاسلامية بصفة خاصة ، حيث انتشر التعامل بالفائدة في الاقتصاد الوضعي بدرجة كبيرة كان من جرائها بعد ذلك الأزمات الاقتصادية المتكررة التي دعت مفكري الغرب وعلماء الاقتصاد الى سد الفكرة .

وفي سبيل ذلك عرض الكاتب لما كتبه كل من أرسطو وآدم سميث واللورد كينز وهنري سيموز وكارل ماركس وغيرهم من الآثار الضارة للفائدة وانها أحد مظاهر الاستغلال العام .

ثم عرج الكاتب للحديث عن الربا في الاسلام وأوضح ما هيته ثم بين أنواعه مقسما

اياها الى ربا النسيئة وربا الفضل وتطرق في حديثه الى نظرية تحريمه والآيات الدالة على ذلك وأسباب التحريم وعلته وقدم على لسان بعض علماء المسلمين بعض الحلول والمقترحات الاجتهادية للوقوف تجاه هذا التيار الرهيب .
ج ـ الزكاة : بين الكاتب ما هي الزكاة ثم فريضتها وذكر ورودها في القرآن وتعرض لحكمة فرضها .

وأوضح بعد ذلك شروط وجوب الزكاة ملخصا اياها في :
١ ـ الاسلام : فهي تفرض على المسلمين دون غيرهم .
٢ ـ الحرية : فلا يؤديها إلا كل مسلم حر .
٣ ـ الملك التام : أن تكون العين المفروض عليها الزكاة مملوكة ملكية تامة لصاحبها .
٤ ـ النصاب : تحديد قدر معين تجب الزكاة فيه ولا زكاة فيما هو أقل منه .
٥ ـ الحول : أي سنة كاملة ولا تجب الزكاة قبل تمام السنة .

وعرض الكاتب انواع الزكاة مقسما إياها الى زكاة الفطر وزكاة المال مقسما الأخيرة ايضا الى ستة أنواع .
١ ـ زكاة النقود .
٢ ـ زكاة الدين .
٣ ـ زكاة الزروع والثمار .
٤ زكاة النعم وتعرف بزكاة الحيوان .
٥ ـ زكاة عروض التجارة .
٦ ـ زكاة الركاز والمعدن .

وبين الكاتب بعد ذلك أوجه إنفاق الزكاة وقد جاءت صريحة في قول الحق تبارك وتعالى : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**) التوبة ـ ٦٠ .
واختتم الحديث عن منافع الزكاة وجزء من القرآن والسنة والحكم الشرعي فيه .
د ـ **الصدقات** : تلعب الصدقات دورا هاما في تنفيذ نظام الضمان الاجتماعي وإنشاء مؤسسات العجزة والمحتاجين بما يحقق قيام مجتمع التكافل الاجتماعي بدرجة كبيرة .
لذا فقد ورد ذكر الصدقات والانفاق في سبيل الله والبر والاحسان ولمساعدة الانسان القادر لأخيه في مواطن كثيرة في القرآن الكريم منها :
ـ (**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**) **البقرة** ـ ٢٧٦ .
ـ (**إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم**) **الحديد** ـ ١٨ .
ـ (**خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) التوبة ـ ١٠٣ .
ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم : ـ

- « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول » رواه البخاري وأبو داود والنسائي .
- « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار » متفق عليه .

د - **الربح** : الربح أمر مشروع وهو نتاج للتجارة تعبيرا عن نجاح عملياتها واسترداد رأس المال وزيادة .

وقد أقر الله الربح حيث يقول سبحانه : (**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم**) البقرة - ١٦

وفي قيام الشركات والمضاربات تكون النتيجة غنما أو غرما . وقد أقر الاسلام وبين لها القواعد وأرسى لها الأسس .

ولكن الاسلام يحرم الربح غير المشروع والناتج عن عمليات الغش والتغرير والتلاعب بالمكاييل وغيرها

وفي كلمة ختامية عن التوزيع قال المؤلف :

- الأفراد مستخلفون في الأرض لحفظ وإدارة وتوزيع الثروة فهي وديعة وأمانة الله عندهم .
- إحاطة الشريعة الأجر بسياج قوي من التعاليم والقواعد التي تكفل للعامل حياة كريمة .
- تحريم الربا تحريما قاطعا والعمل على حماية المجتمع من الاستغلال والكسب الحرام .
- فرض الزكاة وتجميعها وصرفها في مصارفها الرسمية .
- تقرير الاسلام للربح المشروع وحماية المجتمع من الاستغلال والاحتكار .

(٥) دراسة مقارنة :

وفي نهاية المطاف يعرض لنا الكاتب سمات كل من النظام الاقتصادي الوضعي بما يتسم به ، والنظام الاقتصادي الاسلامي ودوره في المجتمع ، فمن سمات الأنظمة الوضعية :

- دوران النظريات في هذه الاقتصاديات حول فكرة الندرة النسبية .
- هذه النظم محلية ولا يمكن تطبيق أحد هذه النظم في مكان آخر .
- تقوم هذه النظم على الصراع والحرب والدمار والمنافسة .

ومن أهم سمات النظام الاقتصادي الاسلامي :

- قيام هذا النظام على الوفرة النسبية .
- **نظام وضع للعالم أجمع من أجل إسعاد البشر كافة في شتى بقاع الأرض .**
- **اقتصاد يقوم على السلام والتعاون والتضامن والاخوة بين الناس .**
- **الاتفاق مع الفطرة وعدم تجاهلها أو إهمالها .**
- دعم العمل الاجتماعي والاقتصادي والحث على مكارم الأخلاق وإصلاح الأفكار وتطهير النفوس . .

الفتاوى

استبدال جزء من المعاش

عرض على لجنة الأمور العامة في الهيئة العامة للفتوى في وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية في جلستها المنعقدة يوم السبت ٢٩ محرم ١٤٠٤ هـ الموافق ٥/ ١١/ ١٩٨٣ م الاستفتاء المقدّم من بعض المواطنين عن الفتوى الصادرة بشأن الحكم الشرعي في استبدال جزء من المعاش التقاعدي (والذي درجت تسميته بين الناس ببيع المعاش) وقد سبق للجنة بيان جوازه شرعا إذا ما تم بين صاحب المعاش والجهة العامة المنوط بها ذلك النظام .

وقد اجتمعت اللجنة في جلسة طارئة يوم الأربعاء ٢٦ محرم ١٤٠٤هـ الموافق ٢/ ١١/ ١٩٨٣ م .

واطلعت على بيانات طلبتها من المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية ، واستمعت الى ايضاحات قدّمها مندوب عنها وقد جاء في تلك البيانات :

« ان الحقوق التي يقررها نظام التأمينات الاجتماعية عند انتهاء خدمة المؤمن عليه تتمثل إما في مكافأة تقاعد او في معاش تقاعدي وذلك تبعا لمدة الخدمة وسبب انتهائها . والمكافأة هي مبلغ محدد يصرف دفعة واحدة أو على دفعات وفقا للشروط والقواعد المحددة لذلك قانونا . أما المعاش التقاعدي فهو مبلغ دوري يصرف كل شهر ويكون لصاحب المعاش الحق في أن يصرف معاشه بالكامل دوريا أو أن يطلب صرف جزء منه في صورة مبلغ من دفعة واحدة وهذا هو ما يسمى بنظام الاستبدال ، وفي هذه الحالة يصرف له باقي المعاش دوريا بعد خصم الجزء الذي قام باستبداله .

وينظم قانون التأمينات الاجتماعية في المواد (٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩) منه وكذا القرار الوزاري رقم (٤) لسنة ١٩٧٨ م والقرارات المعدلة له موضوع الاستبدال فيحدد القدر الذي يجوز لصاحب المعاش استبداله من معاشه التقاعدي بمبلغ من دفعة واحدة ويحدد القيمة التي يستحقها مقابل كل دينار من هذا القدر وذلك طبقا للأسس الفنية والاكتوارية التي بني عليها النظام -

وطبقا لهذا النظام فانه إذا توفى صاحب المعاش التقاعدي يقف خصم الجزء المستبدل من معاشه ويوزع المعاش على المستحقين عنه كما لو أنه لم

يستبدل منه شيئا ولو لم يكن قد تم الوفاء بكامل القيمة الاستبدالية التي صرفت له ، كما انه يحق لصاحب المعاش أن يطلب في أي وقت إيقاف العمل بالاستبدال مقابل قيامه برد مبلغ يحسب وفقا للجداول الخاصة بذلك فيعود له معاشه بالكامل كما كان قبل الاستبدال .

وبطبيعة الحال فإن بعض أصحاب المعاشات المستبدلين يوافيهم الأجل قبل اكتمال وفائهم بالقيمة الاستبدالية التي صرفت لهم والبعض الآخر يمتد بهم الأجل فيسددون ما يزيد على القيمة التي صرفت لهم ، حيث يقوم هذا النظام على أساس من التكافل بينهم فيغطي بعضهم البعض في الوفاء بالمبالغ التي صرفت لهم ».

وقد رأت اللجنة (بالإجماع) تأكيد ما جاء في فتاواها السابقة بهذا الشأن من جواز هذا الاستبدال شرعا اذا ما تم بين صاحب المعاش والجهة القائمة على نظام التأمينات (المعاشات) ولو روعي في الاستبدال سن المستبدل وسنوات خدمته وظروفه الاخرى .

ذلك ان استبدال جزء من المعاش التقاعدي ما هو الا واحد من التصرفات التي يشتمل عليها نظام التأمينات (المعاشات التقاعدية) وهو نظام قائم أصلا على التكافل والتعاون وليس على المعارضة (المبادلة المالية البحتة) لكي يشترط فيه ما يشترط في تلك المبادلات من تقايض وتماثل في المقدار اذا جرت بين عوضين من جنس واحد (الصرف).

ولا يخفى ان نظام التأمينات من أساسه قائم على تسلم النقد (عند تجميع الموارد) ثم اعطائه لصاحب المعاش بعد أمد طويل (عند الاستحقاق) او لذويه بعد وفاته بلا مراعاة للفورية في التقابض ولا للتماثل بين البدلين : ولم يقل احد بعدم جواز هذا النظام ، بل اتفقت كلمة العلماء المعاصرين على اجازته . ولو كان من قبيل المعاوضات البحتة لما جاز هذا النظام من أساسه .

وان التعاون والتكافل تدعو اليه كثير من النصوص الشرعية ، كقوله تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى** » وحديث الاشعريين الذي اخرجه البخاري ومسلم عن ابي موسى قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الاشعريين اذا أرملوا في الغزو ، او قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني ، وأنا منهم » . ولا يخفى ان الحديث يفهم منه تسويغ اخذ أحد الاشعريين

اكثر مما أعطى أو أقل . وقد أجاز الشارع ذلك ، وأثنى على فاعليه ، لما فيه من معنى التعاون والصلة .

وان الاطراف التي تسهم في تجميع موارد هذا النظام (وهي صاحب المعاش ، والدولة ، ومؤسسات العمل أحيانا) لا تقدم تلك الاموال على سبيل المعاوضة ، ولا على انها جزء من الأجور المستحقة للموظف وانما هي فرض رعاية المواطن عند شيخوخته وعجزه ورعاية أسرته بعده .

هذا بشأن الموارد . أما المستحقات فهي في حال الاستبدال وعدمه صلة ومعونة تصرف لصاحب المعاش أو لذويه من بعده واقتضت المصلحة وضع شروط وإجراءات ومراعاة ظروف يتأثر بها أصل الاستحقاق ومقداره .

وكيفية الصرف تكون على طريقتين : اما بمرتبات شهرية فقط واما بمبلغ الاستبدال معجلا مضافا الى مرتبات شهرية منقوصة لاستقطاع مبالغ معينة خلال مدة تزيد او تنقص ، مقدرة تبعا لبقاء صاحب المعاش على قيد الحياة ، أو انتقال الاستحقاق في تلك الصلة الى ذويه . ومن هذا يتبين ان الزيادة أو النقص بين المبلغ المعجل وبين الجزء المستقطع لا تدخل في باب المعاوضات المالية وانما هي من باب التبرعات والصلات الملتزم بها بالنظام الصادر عن ولي الامر . ومما يؤكد ذلك انها لا تجرى عليها أحكام التركات .

هذا عن الاستبدال الحاصل بين صاحب المعاش وبين الجهة القائمة على نظام التأمينات (المعاشات) أما اذا كانت المبادلة قد تمت بين صاحب المعاش وبين جهة أخرى غير الجهة القائمة على نظام تأمينه سواء كان تاجرا أم شركةام بنكاام غيرها ، بحيث يقبض صاحب المعاش مبلغا يتفق عليه ، كألف دينار مثلا ، ويتنازل للمشترى عن عشرة دنانير من راتبه التقاعدي الشهري تخصم منه مدى الحياة لصالح المشتري . فإن اللجنة رأت أن هذه المبادلة بيع حقيقي الا انه بيع باطل ، لأن البائع سيدفع نقودا مؤجلة ثمنا لنقود حالة ، فهي عملية صرف ، والصرف يشترط لصحته الحلول والتقابض في العوضين ، وهو باطل أيضا لأن الصرف يشترط فيه التساوي اذا كان العوضان من جنس واحد ، وهذا البيع المذكور لم يتساو فيه العوضان بل قد يأخذ المشتري أقل مما دفع أو أكثر ، وهو باطل ايضا لأنه بيع فيه غرر كثير ، إذ لا يدري كم المبلغ الذي سيقتطع من راتبه تبعا لطول حياته بعد هذا العقد أو قصرها . والأعمار بيد الله تعالى .

وحاصل الجواب :

ان استبدال جزء من المعاش التقاعدي الشهري بمبلغ معجل اذا تم بين صاحب المعاش وبين الجهة العامة القائمة على نظام التأمينات الاجتماعية (المعاشات التقاعدية) جائز شرعا ولا غبار عليه ، لأنه نظام قائم على التعاون والتبرع والصلة .

أما الاستبدال المذكور اذا تم بين صاحب المعاش وبين جهة أخرى خاصة ـ كالبنوك أو الشركات التجارية او الافراد ـ فإنه لا يجوز لأنه معاوضة يقصد بها الاسترباح وقد تضمنت التأجيل ، والتفاوت بين عوضين من جنس واحد ، فضلا عن الغرر والجهالة . والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ردود قصيرة :

الى القارىء جعفار بو شعيب ـ المغرب ـ نود افادتكم بأن الفتاة التي ترغب في الزواج منها والتي رضعت مع أخيك الأصغر ان كان الرضاع من أمك فهي اختك من الرضاع ولا تحل لك وان كان الرضاع من أمها وليس بينك وبينها رضاع لا من أمها ولا من امرأة أجنبية فانها تحل لك شرعا .

● الى القارىء باتشيسن يوسف ـ المغرب .
نفيدكم بأن الأصل الذي ذهب اليه العلماء ان كان من صحت صلاته لنفسه صحت صلاته لغيره ولكنهم مع ذلك كرهوا الصلاة خلف الفاسق والمبتدع . أما صلاة الجنازة فمن المتفق عليه بين العلماء أنها فرض كفاية لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ولمحافظة المسلمين عليها والغاية منها الدعاء والاستغفار للميت والعظة والاعتبار للأحياء .

● الأخ جعفر عبد القادر ـ الناظور ـ المغرب ـ اقرأ الفتوى المنشورة في المجلة في شهر صفر ١٤٠٤ هـ العدد رقم ٢٣٠ .



لماذا يتهمون الاسلام ..!؟!

الأمر في غاية البساطة ولا يحتاج الى تحليل او بحث . هو أن معظم علماء المسلمين اقصد علماء الدين لم يجهدوا أنفسهم عناء البحث لبعض القضايا التي تتعلق بالأوضاع الاجتماعية والعمليات التي تنجم عنها مكتفين بالنقل ، اما العقل فهو في المقام الثاني ولا يولونه اي اهتمام الا في حدود ضيقة جدا . وتناسوا ان القرآن الكريم ذكر في اماكن كثيرة منه .. « يا أولى الالباب » مخاطبا العقل مباشرة . كذلك لا نريد ان نذهب بعيدا . فأول آية نزلت من القرآن الكريم « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » صدق الله العظيم .

إذاً فالعلم والتعلم بصفة عامة سمة من سمات الاسلام، لا بل جوهره ودعامته . كذلك قوله تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقوله « وقل رب زدني علما » .

هذا و ان القرآن قد ذكر في آيات كثيرة ما يفيد التطور . ومادام القرآن اقر التطور يكون الاسلام دائما متطورا ويصلح لاي زمان .

والتلميح في قوله تعالى « يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث». إقرار بذلك التطور الظاهر الذي يمكن للعقل البشري ان يستوعبه ولقد فسرت هذه الآية في هذا العصر بعد ان اكتشف العلم الحديث تطورات الجنين داخل الرحم ، بخلاف تفسيرها في الماضي . يعني ذلك ان التطور طبيعة خلقها الله سبحانه وتعالى في الكون . ومن ثم ينطبق على كل شيء في الحياة .

وقوله تعالى « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » حث على العلم والبحث

والاسلام دين ودنيا وصالح لكل زمان وليس فيه تعقيد ، وهو صريح ليس فيه غموض ولا ايهام . فالتجمد العقلي الذي اصاب العقول كان سببه الرئيسي بعض رجال الدين ولم يكن الخطأ ابدا في الاسلام .

ارادت الحكومة المصرية ان تدخل علوم الرياضيات والطبيعة في مدارسها ولكنها لم تستطع ان تقدم على ذلك دون ان تستفتي شيخ الأزهر خوفا من ثورة العلماء . فكتبت له : هل يجوز تعليم المسلمين العلوم والرياضة والهندسة والحساب والهيئة وعلوم الطبيعة ؟

ويجيب شيخ الأزهر « ان ذلك يجوز مع بيان النفع من تعلمها

واذا كان الاسلام يدعو الى العلم والى التفكير واستخدام العقل فلماذا يجد ما لا يجده آي دين غيره من هجوم ؟

لأن اعداء الاسلام يعلمون تمام العلم انه لو طبق شرع الله كما جاء في الاسلام وكما اراد الله له أن يكون . فسوف يكون ذلك وبالاً عليهم . وعلى ارادتهم وحياتهم المملوءة بالمادية والتي يكسوها الفجور . ويشهد على هذا العديد منهم . واحدهم يقول ويعترف انه مادام القرآن في يد المسلمين فلن نتمكن من هذا الاسلام ابدا . ولكن عقم التطبيق هو ما يمكننا منهم .

هذا اعتراف صريح منه ان هذا الذكر المنزل الجامع الشامل هو الدعامه الاساسية في بقاء هذا الدين القيم ولهذا يحاولون اضعافه بشتى الطرق .

فهل آن الأوان ان نفهم ابسط اسباب التخلف . وهل أن الأوان ان نعرف ماذا يقصد القرآن ، يقول الله تعالى « .. لهمعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » صدق الله العظيم .

علي محمد عبدالباقي

اتحدوا

تحت هذا العنوان كتب الأخ/ جابر محمد حسن خليل يقول :حينما يقرأ المسلم قول الحق سبحانه وتعالى « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » آل عمران ١٠٣ يعتصر الألم قلبه ـ إذا كان قلبه حيا ينبض بالايمان ـ كلما ألقى بصره على الساحة الاسلامية لقد مَنَّ الله على المسلمين إذ جعلهم أمة واحدة « **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » الأنبياء ٩٢ تتحدث بلسان واحد ، وتتجه قلوبها صوب قبلة واحدة ، ويعبدون ربا واحدا ، ويتلون كتابا واحدا هو القرآن ، ويتخذون من محمد بن عبد الله الأسوة والقدوة (صلى الله عليه وسلم) وتتحد غاياتهم وآمالهم .

إلى جانب ذلك كله فالرقعة الاسلامية شبه متكاملة ، تتجاور أراضيها ، وتتدفق خيرات الله فوقها أكثر من غيرها من البقاع ويغمرها الخير في ظاهرها وفي باطن أرضها .

ومع هذا كله لا نجد اتحادا قويا يربط بين الشعوب الاسلامية .

ألا يعلم المسلمون أن سر قوتهم في وحدتهم ؟
إذا كانوا لا يعملون ذلك فها هو رسولهم الكريم (صلى الله عليه وسلم) يبين لهم بالمثل الحي :
« إن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية » رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم .
وها هي الأيام تثبت ما قاله المصطفى « صلى الله عليه وسلم » منذ أكثر من أربعة عشر قرنا حيث أعلن أعداء الاسلام سياستهم في تمزيق الأمة الاسلامية تحت شعار « فرق تسد » فوجدنا

التقسيمات التي مزقت الشمل بحجة الحدود السياسية .
إن روح الفرقة والانقسام تسود بين أفراد الأمة الواحدة فكل دولة بأحوالها مشغولة تاركة غيرها تئن وتشتكي وتصيح ولا مغيث .

إن حال أمتنا الآن لا يسر فالمال في أيدينا ، والبترول عصب الحياة في أراضينا ، والقوة البشرية الضاربة من سمات الأمة المسلمة التي لا تعرف شيئا يسمى تحديد النسل ، والعقول المسلمة الفذة يضرب بها المثل في كل زمان ومكان في الذكاء وسرعة البديهة والتكيف مع أحدث وسائل التقدم العلمي . ومع هذا تركنا زمام الأمور لغيرنا يقودنا ونحن حملة مصابيح الهدى ولا نهتدي بها لقد صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول :
« توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟
قال : بل أنتم يومئذ كثيرون ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينز عن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ،وليقذفن في قلوبكم الوهن . قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟
قال : حب الدنيا وكراهية الموت . » رواه أبو داود .
نعم يا رسول الله ها هي الذئاب تنهش في جسم أفغانستان المسلمة ، والعدو يعمل في أرتيريا لسلخها عن إسلامها ، وفلسطين ما زالت ترزح تحت نير العدو الصهيوني القذر والصليبية العالمية قائمة على قدم وساق لتنصير شعب أندونسيا المسلم .
وهل تملك القصعة أن تمنع عنها الأيادي ؟!
إن أعداء الاسلام يتحدون فيما بينهم على اختلاف لغاتهم وعقائدهم وجنسياتهم ومشاربهم فهل تدبرنا في أحوالنا معشر المسلمين ؟
إن أوربا تجمع بين شعوبها اقتصاديا السوق الأوربية المشتركة ، فأين السوق الاسلامية المشتركة ؟

إن أوربا يربط بين دولها خط حديدي يسير عليه القطار من أقصاها إلى أقصاها فأين ما يربط بين الشعوب الاسلامية ؟
إذا تدبرنا وقائعنا مع أعدائنا ألفينا النصر وليد الوحدة ولم الشمل ، واسألوا صلاح الدين واسألوا سيف الدين قطز ، بل اسألوا التاريخ الاسلامي المجيد يجبكم :
إن الاتحاد أمضى سلاح وأقوى عدة للانتصار .
أيها المسلمون : اتحدوا ، ودوسوا على الصغائر وكونوا كبارا كبارا كما أراد الله لكم حتى تطمسوا من صفحات التاريخ الأقزام الذين أصبحوا في بعدكم عن اتحادكم وترابطكم عمالقة

يا خير أمة أخرجت للناس تصفحوا تاريخكم العظيم وشمروا عن ساعد الجد لكي تعيدوا تلك الصفحات المشرقات التي كتبت على جبين التاريخ بأحرف من نور .
واعلموا ـ رحمكم الله ـ أنكم أمام امتحان عسير تتكالب ضدكم فيه كل قوى البغي والظلم والعدوان ، والهدف هو عقيدتكم . فاعتمدوا على الله ، ودافعوا عن الحرمات ، والله ناصركم .

مع الصحافة

سوف نركز الاهتمام في هذه الصفحات على أوضاع المسلمين في الشرق الأقصى في الهند وأفغانستان والفلبين ، وغايتنا في ذلك واضحة فمعظم الصحف العالمية والعربية ، قليلة الاحتفال بما يجري في تلك البلدان ، على عظم ما يجري واهميته ، وتشغلها بصورة أساسية تطورات الأحداث السريعة في الشرق الأوسط ، وبخاصة ما يظهر في الأفق من تصاعد التوتر بين القوتين العظميين ، الذي تثيره عمليات عسكرية أمريكية محدودة في لبنان ، من المرجح أنها ذات أهداف سياسية بالدرجة الأولى ، بيد أن أخطر ما أثار التوتر هو الاعلان عن اتفاق التعاون الاستراتيجي بين أمريكا والعدو الصهيوني . وأما على الصعيد الفلسطيني فلعل أبرز التطورات تلك العملية التي قام بها الفدائيون الفلسطينيون في قلب القدس ، وقد حاول العدو الصهيوني منع رئيس منظمة التحرير من مغادرة طرابلس بهدف القضاء على الدور السياسي للمنظمة بعد أن تم إضعاف قواها العسكرية منذ غزو لبنان وحصار بيروت حتى أحداث طرابلس الأخيرة .

○ التعاون الاستراتيجي بين أمريكا وإسرائيل

عن موضوع التعاون الاستراتيجي بين أمريكا وإسرائيل نشرت مجلة الوطن العربي في عددها ٣٥٧ للسنة السابعة مقالا بعنوان الموقف الجديد في الشرق الأوسط ، وقد عرضت فيه تطور هذا التعاون الاستراتيجي منذ تشرين الثاني ١٩٨١ وحتى تشرين الثاني ١٩٨٣ . جاء في المقال :

عاد الوزير الاسرائيلي الأول اسحق شامير من واشنطن في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي باعلان عن تمتين العلاقات السياسية والعسكرية بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، مما يعني زخما جديدا لاتفاق « التعاون الاستراتيجي الاميركي ـ الاسرائيلي » القائم فعلا قبل ذلك التاريخ .

في ايلول (سبتمبر) ١٩٨١ زار الوزير الاسرائيلي الأول مناحيم بيغن واشنطن لأول مرة والتقى الرئيس ريغان ويومذاك كانت الولايات المتحدة تحاول ان تبني « إجماعا إستراتيجيا » في الشرق الأدنى والخليج في اتفاق مع بعض الدول العربية . لكنها واجهت في ذلك معاكسة إسرائيلية خلال شهور كاملة تمثلت بمبادرات اتخذها الوزير الاسرائيلي الأول ، ومنها بنوع خاص قصف المفاعل النووي العراقي وبيروت . وحين وصل بيغن في

زيارته تلك إلى الولايات المتحدة كان القادة الاميركيون على وشك تسليم العربية السعودية اسلحة مهمة ، وكان الكونغرس يشهد حملة ضد بيع طائرات « اواكس » للرياض . ولا شك في ان مناحيم بيغن حاول ثني رونالد ريغان عن تنفيذ الشق الأخير من الاتفاقية المبرمة مع السعودية . والمعلوم ان قضية « الأواكس » لم تحسم إلا بعد عدة شهور .

وقد عمد الكسندر هيغ وزير الخارجية الاميركية في ذلك الحين إلى نوع من تطمين إسرائيل باعلان اتفاق تعاون عسكري جديد بين واشنطن وتل ابيب التي خشيت من كون « الأواكس » مزودة باجهزة لتعطيل الرادارات العدوة . وفي كلام هيغ لم يكن المقصود معاهدة أو اتفاقا بل « تعاون عملي » يساهم في الحفاظ على « امن المنطقة » .

الواقع ان تعاونا إستراتيجيا حقيقيا هو المقصود بعبارة « التعاون العملي » تلك واليوم توافرت معلومات واضحة عن الموضوع . فالتعاون ذاك يشتمل على ما يلي :

أولا ـ تدريبات مشتركة ومنتظمة وإمكانية استخدام الأراضي الاسرائيلية لمناورات عسكرية اميركية .

ثانيا ـ تعاون لوجيستي يتيح إستخداما متطورا للتجهيزات الاسرائيلية من اجل اعمال الصيانة للقوى البحرية الاميركية العاملة في المتوسط الشرقي .

ثالثا ـ امكانية استخدام الأراضي الاسرائيلية بمثابة « قاعدة متقدمة » للقوات الأميركية إذا ما تعين على قوة الانتشار السريع الاميركي التحرك والعمل ، وخصوصا في منطقة الخليج .

رابعا ـ ان تتمكن هذه القوة من تخزين عتاد عسكري وذخائر في إسرائيل .

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣ توجه الوزير الأول الاسرائيلي إسحق شامير في زيارة رسمية إلى واشنطن بعد فترة سنتين تبدلت فيها اشياء عديدة في الشرق الأدنى والخليج . صار « الخطر السوري ـ السوفياتي » محور اهتمامات ريغان واكتشفت واشنطن مجددا ما اعتبره قادة تل ابيب دوما حقيقة بدهية وأسفوا دوما لعدم اخذه بعين الاعتبار . وما يمكن تلخيصه بان إسرائيل تبقى حليف الولايات المتحدة الموثوق به في الشرق الأدنى والمحاور المتميز الذي يمكن للغرب أن يعتمد عليه !

اشكال هذا التعاون الاستراتيجي لم تتحدد بعد بوضوح طالما ان لجنة عسكرية مشتركة سوف تصوغها وتحدد ترجمتها العملية . ولا يبدو انها ستكتفي باستعادة ما اتفق عليه في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١ وتطبقها فالمتوقع رسميا حتى الآن هو الآتي :

أولا ـ التهيئة لمناورات مشتركة جوية وبحرية للعام ١٩٨٤ .

ثانيا ـ تنظيم امور تخزين العتاد (ربما الطبي فقط) العائد لقوة الانتشار السريع .

ثالثا ـ رفع الحظر الاميركي عن تسليم إسرائيل قنابل انشطارية (تستعمل مبدئيا لغايات دفاعية) .

رابعا ـ تحويل « الهبات » إلى قروض اميركية ممنوحة من ضمن المساعدات الاميركية لاسرائيل . والمنتظر ان تتلقى إسرائيل للعام ١٩٨٤ مليارا و ٧٠٠ مليون دولار .

بالنسبة إلى الولايات المتحدة الغاية من هذا الاتفاق إذا مزدوجة . فالمقصود هو تمتين التحالف الأميركي ـ الاسرائيلي من الناحية السياسية والعسكرية في وجه التحالف السوفياتي ـ السوري ودفع إسرائيل التي تعاني من وضع اقتصادي ومالي حرج مزيدا من المرونة في ما يتعلق بلبنان . وترغب واشنطن في ان يبقى هذا « التعاون الاستراتيجي » في اقصى سرية ممكنة حتى لا تتسبب باحراج حلفائها ومن تبقى من اصدقائها العرب ، ولا يشكل الأمر عقبة في إحياء « مشروع ريغان » . ولكن تل أبيب تحرص في المقابل على إعلان الحدث باقصى ما يمكن من الضجة الاعلامية .

○ محنة المسلمين في الهند

قدمت « لجنة إغاثة مسلمي الهند » ، ومقرها في لندن ، مذكرة عن محنة المسلمين في الهند إلى المؤتمر الرابع عشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذي انعقد في (دكا) ببنغلادش من ٦ إلى ١٠ ديسمبر ١٩٨٣ . وقد جاء في المذكرة :

لا زال المسلمون ، منذ استقلال الهند ، يعاملون بالتمييز في مجال الاقتصاد والشئون الاجتماعية ويحرمون من حقوق الانسان الأساسية واكبر من ذلك لا زالوا هدفا لسلسلة غير منتهية من المجازر القمعية . فقد حدث اكثر من ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف حادثة عنف ضد المسلمين منذ سنة ١٩٤٧ م راح ضحيتها قريب من نصف مليون مسلم ونهبت ممتلكات تقدر ببلايين الروبيات . ولم ينس العالم حتى الآن مجزرة المسلمين الكبرى في ولاية آسام بالهند .

وقد غصبت المساجد وممتلكات الأوقاف والمقابر من قبل الحكومة والأفراد بحيل مختلفة وحاليا منع مسلمو العاصمة ، دلهي ، من اداء الصلوات في حوالي ٦٠٠ ستمائة مسجد قديم بحجة حمايتها كابنية اثرية .

إن سياسة التمييز تنفذ في حق المسلمين في كافة مجالات الحياة القومية ، فنسبة المسلمين في الوظائف الرسمية وشبه الرسمية تقل عن ٢٪ بينما لا تقل نسبتهم في المواطنين عن ١١٪ استنادا إلى المصادر الرسمية . ويبذل قصارى الجهد لتنفيذ القوانين العائلية الانجليزية ـ السكسونية ـ الهندوكية باسم الاتحاد الوطني وتوحيد القوانين المدنية . ومعاهد المسلمين التعليمية تحت ضغط مستمر من قبل الجهات المسؤولة ، ويتهم المسلمون ، بحقد ، باستلام بترودولار من البلاد العربية لنشر الاسلام في الهند .

ولكن الأجهزة القومية تقوم بدعاية في العالم بان الهند دولة علمانية يتمتع كل من فيها بحقوق مساوية ، والأقليات في امن ورفاه . إن جو الخوف المستمر الذي تعيش فيه جالية ١٠٠ ـ ١٥٠ مليون مسلم قد اوجد نتائج وخيمة من وهن العزيمة والركود ، شبابهم لا يرون إلا مستقبلا قفرا ونسائهم يخفن الاهانة ، ويتربى الناشئة على نظام تعليمي متحيز ضد الاسلام والثقافة الاسلامية بينما يعيش تاجرهم ومزارعهم وعمالهم في أجواء من التمييز والحرمان .

لذا فان لجنة إغاثة المسلمين في الهند ، بلندن ، تنادي القادة الاسلاميين للأمة ان يبدوا اهتمامهم بثاني اكبر تجمع للمسلمين في العالم ، مسلمي الهند لكي يتمتعوا بحقوقهم الدستورية والانسانية .

○ محنة المسلمين في الفيلبين .

ربما يظفر القارىء المسلم في بعض الأحيان بخبر صغير ، ينشر في صفحة داخلية من إحدى الصحف ، عن مذبحة يذهب ضحيتها بضع عشرات من المسلمين في الفلبين ، وإذا كانت صحف الغرب والشرق غير عابئة بمصير المسلمين ، فإن من المستغرب ألا تحظى مثل هذه الأخبار الخطيرة باهتمام مكافىء لها من الصحف العربية .

ففي ٢١ صفر نشرت جبهة تحرير مورو الاسلامية تقريرا عن مذبحة « جديدة » قتل فيها ٣٤ مسلما من المدنيين منهم ١٣ طفلا ، على أيدي قوات

حكومة ماركوس . ويبدو أن هذه المذبحة جزء من خطة لابادة المسلمين في الفيلبين فقد جاء في بيان صدر عن الجبهة المذكورة بتاريخ ٤ صفر تلخيص لخسائر المسلمين في الفلبين منذ عام ١٣٨٨ هـ حتى الآن ، وفيه ما يلي :

أ) إحراق/ تدمير اكثر من مائتي الف منزل ، و ٦٠٠ مسجد و ٣٠٠ مدرسة عربية إسلامية .
ب) اكثر من ١٣٠ الف شهيد من العزل معظمهم من النساء والأطفال والعجائز .
ج) تشريد اكثر من مليون مسلم حتى الآن ، ولجوء اكثر من مائة الف منهم إلى بلاد اجنبية .
د) اغتصاب اكثر من مليون هكتار من أراضي المسلمين الزراعية .
هـ) استرقاق حوالي ٦ آلاف من النساء المسلمات على ايدي الوحوش من قوات ماركوس .

وعن أساليب حكومة ماركوس تجاه المسلمين ذكر التقرير ما يلي :

بعض اساليب حكومة ماركوس العدوانية ضد المسلمين :
أ) تخصيص مكافاة لكل من يقتل مجاهدا أو مسلما متعطفا مع المجاهدين بعد فشل العدو في ملاحقة المجاهدين والاستيلاء على قواعدهم .
ب) تدريب عشرات الألوف من النصارى عسكريا لتعزيز قوات العدو لمواجهة المجاهدين الذين تزداد قوتهم يوما بعد يوم بعون من الله وتوفيقه .
ج) إلهاء الشعب المسلم بالحفلات الساقطة لينسى قضيته وحقوقه المغتصبة .
د) تعذيب الركاب المسلمين اثناء مرورهم على مخافر الشرطة العسكرية بتهم مختلفة .
هـ) جريمة اغتصاب النساء المسلمات وتحويلهن إلى جواري تحت الوعيد والتهديد ، وكنتيجة انتحر عدد كبير من هؤلاء النسوة . ولذلك فإن بعض العمليات للمجاهدين تنفذ في غير موعدها المحدد لها لانقاذ هؤلاء المسلمات والانتقام لهن .
و) إغلاق عشرات من المدارس الاسلامية والعربية والمساجد المتبقية نتيجة مضايقات قوات العدو .
ز) تعلن الحكومة مرارا عن استسلام قواد المجاهدين ، والحقيقة ليسوا بمجاهدين بل مجرمين .
ح) الحكم العرفي ما زال قائما في بلاد المسلمين لمواصلة العدوان بجحافله ضد المسلمين وليكون مبررا لابقاء حكمه غير الشرعي الذي سينتهي قريبا باذن الله تعالى .

○ عن افغانستان

تحظى أخبار الجهاد الاسلامي في أفغانستان ضد الغزو الروسي ببعض الاهتمام في الصحافة الغربية بين حين وآخر نظرا لموقفها المعادي لتوسع النفوذ السوفياتي ، مما يتيح لنا الاطلاع على جوانب من القضية الأفغانية . من ذلك ما نشرته في الأسبوع الأول من ربيع الأول مجلة (يو . إس . نيوز) عن عمليات التهجير الجماعي للمسلمين التي ينفذها السوفيات في أفغانستان . جاء في المقال :

مع دخول الحرب بين الثوار وبين القوات السوفياتية عامها الخامس في افغانستان ، بدات موسكو في التاكيد مجددا على استراتيجية طويلة المدى هي استراتيجية التهجير الجماعي ، اي بمعنى آخر السيطرة على البلاد عن طريق دفع اعداد كبيرة من السكان

للخروج من ديارهم .

ويحاول السوفيات الآن قصف الافغان وإجبار حركة المقاومة الصلبة إما على الخضوع والاستسلام او الفرار من البلاد . ويعتقد ان حوالي خمسة ملايين افغاني فروا إلى الخارج حتى الآن من وجه الارهاب السوفياتي .

إن كل يوم جديد يمر على مخيمات اللاجئين في الباكستان يجلب معه قادمين جددا من داخل الأراضي الأفغانية . ويتحدث الجميع عن نفس القصة ، وهي قصة القصف السوفياتي العشوائي للقرى والمزارع ومعاقل الثوار . وفي عملية واحدة جرت خلال العام الحالي ، قتل او جرح اكثر من ٣٠٠٠ مدني في حيرات وهي المنطقة التي شهدت نشاطا ملحوظا للفدائيين المسلمين .

وهدف موسكو على المدى القصير من التهجير الجماعي هو تجريد الثوار من الدعم المحلي الذي يتمتعون به ومن مصادر المعلومات التي يملكونها من تحرك القوات السوفياتية . وفي الوقت نفسه ، فان الخطة السوفياتية الأخيرة اجبرت المقاتلين على تحويل اهتمامهم عن المعركة نحو رعاية المدنيين الذين تعرضوا للتشرد والجوع بسبب الحرب .

اما الاستراتيجية السوفياتية الطويلة المدى من تحجيم عدد السكان فتكمن في إقامة دولة جديدة ، قابلة للادارة ، وكدليل على ان ذلك هو هدف موسكو فعلا ، في كابول ، فإنه حتى لو بقي مليون شخص في البلاد فقط ، فان ذلك سيكون كافيا لبدء حياة جديدة .

إن ما يحدث في افغانستان يتجاوز باشواط بعيدة ، مشاكل اللاجئين العادية التي تخلقها الحروب في كل مكان . فقد وصل عدد المهاجرين إلى حوالي ثلث عدد السكان الكلي وهو ١٥,٤ مليون نسمة ، حيث فر من ٢,٥ ـ ٣ مليون شخص إلى حدود الباكستان الشمالية الغربية الوعرة وبلوشستان ، وحوالي مليونين إلى إيران . اما الذين تخلفوا عن الهجرة ، فقد اجبر معظمهم بفعل اساليب الارهاب السوفياتية على الالتجاء إلى كابول طلبا للأمن وبحثا عن اماكن للعمل .

إن موسكو بقصفها الجوي وباعمالها الانتقامية وحصارها الاقتصادي للسكان الافغان ، جعلت الأوضاع السائدة قاسية بشكل لا يمكن تحمله ، بحيث بدت الهجرة البديل الوحيد المتوفر لكثير من افراد الشعب . ومعظم اللاجئين هم من النساء والأطفال وكبار السن . فقد تخلف معظم الشبان إما لدعم المقاومة او لتسيير الأمور في مزارع العائلة ، وهذه المهمة باتت من الامور الصعبة في افغانستان . فالقصف يجعل العمل الزراعي محفوفا بالمخاطر ، ويدمر اقنية الري بشكل مستمر . اما الحصاد فغالبا ما يتم إحراقه .

وفي محاولة للحيلولة دون فرار السكان من اراضيهم ، وجد الثوار ان الواجب يدعوهم إلى القيام بمهمة اخرى تختلف عن مهمة إطلاق النار على الروس . لقد وجد هؤلاء انهم سيواجهون مشكلة فقدان القاعدة السكانية إذا لم تجر معالجة الأوضاع الاجتماعية السائدة ، لذلك بدأوا في توفير الدعم للمدارس والمؤسسات الصحية وللمواد الغذائية لكن الثوار يعتمدون على الدعم الانساني الخارجي الذي لا يمكن ان يشمل كافة المناطق وخاصة المناطق المعرضة لأعمال الانتقام السوفياتي .

فهؤلاء المحاصرون في المناطق المنكوبة ، يواجهون خيارين فقط : الالتجاء إلى العاصمة كابول حيث لا يجدون امامهم من وسيلة للعمل سوى خدمة النظام المدعوم من قبل موسكو ، او الهجرة إلى الباكستان او إيران . قال الحاج حسين رئيس لجنة تقديم المساعدة للافغان وهي مجموعة متطوعة للعمل في منطقة هازراجات الفقيرة « اننا نواجه خطر خسارة جيل كامل بسبب الحرب » .

المفسدون في الأرض

● شهدت الكويت مؤخرا أحداثا مجنونة .. زرع أصحابها الرعب في نفوس الآمنين ، وروعوا الناس ، وأصابوا بحماقاتهم الأبرياء من الشباب والنساء والشيوخ ، أرادوا الشر ، واعتدوا على الحرمات ، فخلفوا الخراب ، وجرح من جرح ، ومات من مات .

● فبأي ذنب يقتل البريء ؟ .. وبأي حق يقتل المسلم ؟ والله يقول : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** » .

● وإذا كانت المتفجرات قد أصابت السفارة الامريكية ، والسفارة الفرنسية ، فقد أصابت أماكن أخرى .. وذهب ضحيتها أبرياء من المسلمين ، والعرب ، وغير العرب .

● وأيا كان الهدف من وراء هذا الفعل الاجرامي .. ومهما كان من أمر ، فإن الذين أقدموا على هذا الفعل الجبان من المفسدين في الأرض ، وجزاء هؤلاء كما نص القرآن الكريم « **أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** » .

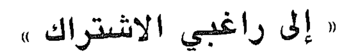
● إن الوعي الاسلامي التي تشجب هذا العمل الآثم .. لا تتعاطف مع المصالح الامريكية ، أو غيرها ، وإنما ننظر إلى الأمر على أنه اعتداء على أمن البلاد ، وغدر وخيانة ، وقتل للأنفس بغير حق ، والله يقول : « **من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا** » .

● ونحمد الله إذ وفق المسؤولين عن الحفاظ على الأمن في الكويت إلى إلقاء القبض على الجناة ، لينالوا جزاء ما اقترفوا .. وما ظلمناهم ولكن أنفسهم يظلمون .

● والاسلام بريء من فعل هؤلاء .. بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل سبعة رجال بسبب تآمرهم على رجل واحد ، وقتلهم إياه غدرا ، وقال لو أن أهل الحي جميعا اجتمعوا عليه لقتلتهم به .

● هذا .. وإننا لنرجو للأخ الاستاذ الزميل/نجيب الرفاعي الذي صادف تواجده في السفارة الامريكية لانجاز التأشيرات المطلوبة لسفره لأمريكا حيث كان يعد رسالته لنيل شهادة الدكتوراه . صادف وجوده هناك وقت الانفجار المجنون ، فأصيب صديقنا ، ومازال تحت العلاج ، وأسرة التحرير تتمنى للأخ/نجيب الرفاعي أن يمن الله عليه بالشفاء . فهو سبحانه على كل شيء قدير .

فهمي الامام



تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)

الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء

سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)

صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧

البحرين : دار الهلال

قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣

أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)

دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)

الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .



مطابع دار السياسة ـ الكويت